إبداعات عالمية

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

338

مسرحيات من الأدب الفارسي

• منزل النور

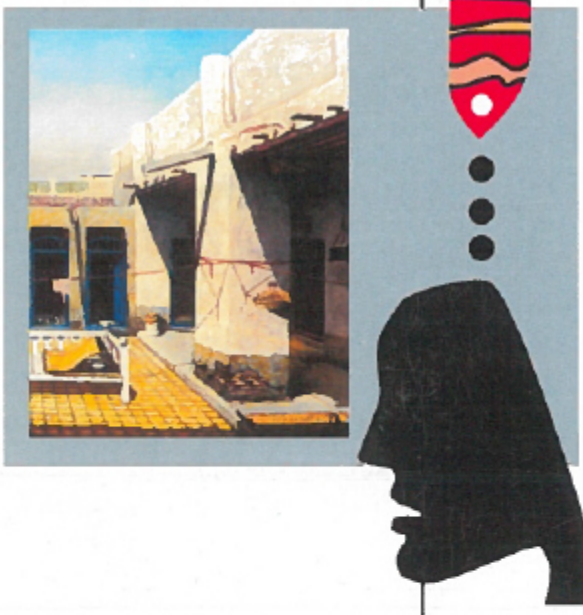

تأليف: جوهر مراد

ترجمة: د. محمد التونجي

مراجعة: د. ڤكتور الكك

سلسلة شهرية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

أكتوبر 2002

5583

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

• منزل النور
وأربع مسرحيات أخرى

تأليف: جوهر مراد
ترجمة: د. محمد التونجي
مراجعة: د. فكتور الكك

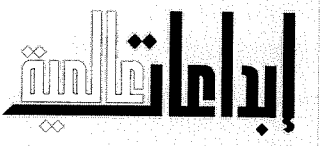

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
أ. بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

أ. سليمان داوود الحزامي/ مستشارا
د. حيدر غلوم خاجة
أ. زايد الزيد
د. زبيدة علي أشكناني
د. سعاد عبدالوهاب العبد الرحمن
د. سليمان علي الشطي
أ. فارس جون غلوب
د. محمد المنصف الشنوفي

مديرة التحرير
وسمية الولايتي

التنضيد والإخراج والتنفيذ:
وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**
دولة الكويت

ردمك ٢ - ٠٩٠ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906 - 0 - 090 - 2

• منزل النور

وأربع مسرحيات أخرى

من الأدب الفارسي

العنوان الأصلي :

• خانة روشنى (١٩٦٧)

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2002م

إبداعات عالمية - العدد 338

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

اسم اللوحة : سنطوانة الليوان

الفنـان : أيوب حسين - الكويت

المـادة : زيت على فيبر

القياس : ١٢٢ x ٨١ سم

مقدمـــة

نشأة الفن المسرحي

المسرحيـة نوع أدبي عـريق عند الإغـريق، حـديث عند الأمم العـربيـة والمسلمـة. وهي قصـة حـوارية أدبيـة تعـرض بشكل درامي، يقـوم على حـبك حـادثة يرسمـهـا الممثلون على أسـاس الحوار الذي يصوغه المؤلف.

لم يعـرف العـرب المسـرح ولا غـيرهم من الأمم المسلمـة،إلا في فتـرة متـأخـرة من الزمن، ولفظة «المسـرح» تـعني عند الإغـريق «دراما»، وعند الفـرس «نمـايش نامـه»، أي الكتـاب المعـروض أو كتاب العرض، واستخدموها بمعنى المسرحية ومعنى التمثيلية على السواء. لكنها عند الإغريق تعني «الحدَث» أو «الفعل». وهي تقوم على محـورين: الأول هو المكان الذي تجري عليه الأحداث، والثاني هو الزمان الذي يدور فيه الحدَث.

وقـد كـانت المسـرحـيـة تقـوم على ممثل واحـد، ثم طوَّر «أسخيلُس»(*) (ت ٤٥٦ ق.م) العمل المسرحي، حيث جعل أبطاله اثنين، وعدّ عمله هذا تفوّقا فنيا في هذا الفن.

أما «أرستوفانس»(**) (ت ٣٨٧ ق.م) فيعد مبدع فن الملهاة في المسرح، وحفظ لنا التاريخ عددا من مسرحياته الفكاهية، منها «الضفادع» و«الزنابير».

(*) أسـخيلُس: شـاعـر ومسـرحي يوناني، من آثاره «الضـارعـات»، «بروميـثيـوس مـقيـدا»، و«أغاممنون».

(**) أرستوفانس: شاعر ومسرحي عـرف بكتاباته الهزليـة، وقد بالغ في هجاء رجال الدولة والمجتمع والآلهة كذلك.

واستمر الفن المسرحي بين جمود وازدهار حتى عصر النهضة الأوروبية، حيث جرت عملية إحياء للمسرح، وسُمي أتباع هذا الإحياء بأصحاب المدرسة الاتِّباعية (الكلاسيكية). ولم تمض ثلاثة قرون على نهضة هذه المدرسة حتى ظهرت المدرسة الرومانسية في المسرح، فبدّلت من الفصول والمشاهد، ودمجت المأساة بالملهاة، وتناولت أحداثها من طبقات الشعب الدنيا.

نشأة المسرح الفارسي

لما كانت المسرحية أبدا ودودا للقصة، ولما كان الفرس مولعين بتأليف القصص نثرا وشعرا، فقد لقي المسرح عندهم أذنا مصغية، وترحابا واسعا. ولم يكن تصور المسرح والمسرحية عند الفرس بالأمر البعيد عن خواطرهم؛ فقد سبق لهم - عبر التاريخ - أن تعرَّفوا كثيرا من المصادر الحوارية، والظواهر المسرحية (*)، سواء من واقعهم الاجتماعي والتاريخي، مثل «أعياد النوروز» و«مشاهد الشاهنامة»، أو من واقعهم الديني والمذهبي، مثل «مشاهد عاشوراء» و«حلقات الصوفية».

ومنذ القرن التاسع عشر وإيران على احتكاك واسع النطاق مع بعض الدول الغربية، كألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا... فاقتبست منها ما قدرت عليه، وما استهواها، وكان الفن المسرحي في طليعة هذه الاقتباسات. والإيرانيون لم يجدوا صعوبة كبرى في تأليف المسرحيات لإغراقهم في فن القصة، وميلهم إلى تناول

(*) انظر مقدمتنا لمسرحية «في سبيل الحرية»، الناشر وزارة الإعلام بالكويت. سلسلة «من المسرح العالمي»، العددان: ٢٧٢-٢٧٣ يناير/ فبراير ١٩٩٤.

ماضيهم وواقعهم تناولا قصصيا. ولن ننسى أن مسرحية «خيال الظل» صيني الأصل جاءنا عن طريق الفرس أنفسهم.

ومع أن المسرح الفارسي بدأ هزيلا، إلا أنه سرعان ما ساير حركة المعاصرة، وأقبل على الجديد إقبال الراغب في هضم مسالكه، وترجم عددا كبيرا من المسرحيات الأجنبية، كي يجعلها أساسا لإبراز حقائقه التاريخية، وتصوير مجتمعه بكل عاداته وتقاليده. فراح كتّاب المسرح يصورون مجتمعهم تصويرا صادقا بكل براءته وتعقيداته.

والذي ساعد على نهضة المسرح الفارسي وجود أعلام للمسرح مثل «جوهر مراد» و«بهرام بيضائي» وغيرهما، فقد قدم هؤلاء أعمالا كانت قدوة لغيرهم، وحماسة إلى الترجمة والتأليف.

وقد عانى أوائل كتّاب المسرح الأوائل كثيرا من عنت بعض المسؤولين، غير أن هذا لم يمنعهم من مواصلة تأليفهم، كما لم يحُل دون عرض مسرحياتهم على خشبة المسرح، وكم كانت توقف بعض المسرحيات وتمنع من عرض مشاهدها، ويؤخذ المؤلفون إلى السجون، لكن الكاتب والمخرج أثبتا عزما وإصرارا، زادا من تطور الفن المسرحي. ولن نتطرق إلى المسرح إبان الثورة الخمينية، وما طرأ عليه من جمود وتحوّل؛ فقد أشرنا إلى ذلك مفصلا في مقدمتنا لمسرحية جوهر مراد «في سبيل الحرية» العدد ٢٧٢ لسنة ١٩٩٤ سلسلة «المسرح العالمي».

منزل النور والمؤلف

اتجه قلم جوهر مراد في مسرحيته «في سبيل الحرية» نحو تصوير الحاكم المستبد، وعرض مظاهر الفساد الذي عاناه الشعب من جراء هذا الظلم. غير أننا تعمدنا أن نترجم لهذا الكاتب مجموعة مسرحيات تأخذ منحى مخالفا، نتبين من ورائه واقع هذا الشعب، وعادات هذا المجتمع. كما نتعرف من خلال هذه المجموعة إلى خط تأليف يراعه. فكان أن اخترنا «منزل النور».

نحن أمام خمس مسرحيات اجتماعية، تناولت أحداثها من جوانب متفرقة في الحياة، واستمد شخوصها من شرائح مختلفة من المجتمع، فاستطاع المؤلف أن يصور مجتمع إيران تصويرا يكاد يكون جامعا. هذه المسرحيات هي: «دعوة»، «يد على يد»، «طوبى للحلماء»، «رسالة المرأة العالمة» و«منزل النور».

ومع أن قارئ هذه المسرحيات الخمس يدرك أنها صور من مجتمع إيران، إلا أنه سيلمس كفاءة المؤلف في تصوير جوانب عدة من هذا المجتمع، وسيخرج من وراء قراءتها بتصور وتقدير كاملين، يبلغ بذلك تخيله للشعب وكيف يحيا، وماذا يهمه في حياته. وبإمكانه كذلك إجراء مقارنة عميقة بين واقعهم وواقعه.

فجوهر مراد استقى أفكاره هنا من البيئة الشعبية الفقيرة والمتوسطة، وأبدى اهتماما حسنا بتصوير المرأة؛ عجوزا وشابة، وأبدع في تصوير بعض الشخصيات المتميزة كالضابط

عالي الرتبة، والمريض في مسرحيته الأخيرة «منزل النور». وهو إن تناول في مسرحيته «رسالة المرأة العالمة» شخصية من الطبقة المتسلطة، فلكي يُبرز تهافتها على الملذات، التي تعتمد على استنزاف الطبقات الفقيرة طلبا للارتواء من هذه الملذات.

وقد نجح نجاحا متميزا في عرض جميع مسرحياته هذه عرضا فكاهيا لاذعا، ودامعا حزينا أحيانا. فقد أجاد اقتلاع الضحكة من المشاهدين، بينما هم يشاركون الممثلين في أحزانهم: فكم يضحك قارئ مسرحية «دعوة» وهو يتألم لوضع السيدة المحزن، وكم ينشرح صدره ويطول تبسمه لما آل إليه واقع العجوزين في مسرحيته «طوبى للحلماء». ونحسب أن هذه البراعة نادرة يبذلها الكاتب في أداء غرضه المزدوج هذا.

ولا نشك في أن جوهر مراد كان يدرس الشخصيات قبل الكتابة عنها؛ ذلك أننا ندرك مدى عنائه في إظهار شخصية من هذه الشخصيات... فهو لم يألُ جهدا في دراسة جوانب من علم النفس حين ألّف مسرحيته «يد على يد»، ودراسة جوانب من الطب، ولا سيما الشلل وأعراضه ونتائجه حين ألّف مسرحيته «منزل النور».

على أن المؤلف لم يكثر من عدد الممثلين؛ فنراه في مسرحيته «دعوة» - مثلا - يكتفي بممثلتين. وهو لم يكد يبلغ عدد ممثليه أكثر من خمسة. وعلى الرغم من أن عدد الممثلين يعطي حركة وحيوية، فإن المؤلف يملك براعة متميزة في إقلاله من عددهم، وإبعاد السأم عن القارئ والمشاهد.

وهو إن قلل من عددهم، فإنه لم يحتج إلى ذكر أسماء الممثلين، فاكتفى بأن حرّكهم على خشبة المسرح بحصافة أراحته من اختلاق الأسماء. ونظرة واحدة إلى إحدى مسرحياته تكفي لأن نقنع بعدم جدوى وضع الأسماء، وهذا دليل تفوق المؤلف تفوقا ملموسا في تحريك الشخوص بناء على حواره الذي يُنطقهم إياه. لكننا نأخذ عليه أنه لم يعتنِ بتحديد أعمارهم، بل ترك هذا لإدراك القارئ من جهة، ولقدرة المخرج من جهة أخرى.

ولقد كان بارعا في دقة الحوار، وفي تحليل الشخصيات عن طريق هذا الحوار. غير أنه كان يُطنب في قضية واحدة بشكل يبعث على الملل أحيانا، ويزداد هذا الملل بروزا حين يطول كلام أحد الممثلين كما في الـ «دعوة»، غير أن هذه الإطالة كانت قليلة، لأن الظاهر العام هو قصر جمل الحوار، وهذا أساس في حوار الفن المسرحي.

لكن المؤلف سار في حواره على إنطاق الممثلين بالعامية الشعبية على لهجة أهل «طهران»، فدأبنا على تحويل العامية إلى اللغة الفصيحة كي يفهمها العرب في كل قطر من الأقطار العربية. وكم عانينا من المصطلحات العامية التي يتعذر علينا إيجاد مرادف لها في الفصيح، فنقلناه بأقرب صورة ممكنة. وكتابته العامية هذه منهج اتبعه المؤلف في كل ما كتب سواء ما ترجمناه له، أو ما لم نترجمه(*).

(*) مما لم نترجمه له مسرحيته «جشم در برابر جشم» أي: عين في مقابل عين، وقد يتيسر لنا ترجمتها في المستقبل.

ومن حسنات المؤلف في هذه المسرحيات:

١ ـ أنه كان يجيد وضع الأشياء على المسرح؛ فلا نراه يضع شيئا إلا كان له ضرورة ووظيفة.

٢ ـ أنه اعتمد عنصر التشويق؛ بأن يُقلق المتفرج أو المطالع، ويشدَّه إلى تتبع مجريات الأحداث، ثم إذا به يفاجئه بخاتمة لم يكن يتوقعها. وهذا العمل تتميز به أغلب مسرحياته.

٣ ـ أنه يُعنى بالمعالجات النفسية، ويسعى إلى تحليل أوضاع بعض الممثلين نفسيا، وينجح في تصوير الأحداث: فقد أحسن تصوير نفسية الأخ الكبير المثيرة للشكوك في «يد على يد»، وفي تحليل نفسية القائد الكبير وهو في ساعات نزعه الأخيرة في «منزل النور».

٤ ـ أنه وفق في الحوار الفردي كثيرا، ولا سيما في هذا الحوار الهاتفي الذي أجرته البطلة في مسرحية «دعوة»، ومع براعتها في الأداء، إلا أن طول هذا الحوار من جانب واحد كاد يبعث على الملل.

عرض لعقدة المسرحيات الخمس

بُنيت المسرحية الأولى «دعوة» على عقدة نفسية تتمثل في أن الفتاة البطلة تهيأ لها أنها مدعوة إلى حفلة ما، وقامت بكل استعداداتها لتلبية الدعوة، غير أنها في اللحظة الأخيرة تذكرت أنها لا تعرف إلى أين ستذهب ومن هم أصحاب الدعوة.

فراحت تتخبط في تفكيرها، وفي حوارها مع خادمتها، ثم لجأت إلى الهاتف تستفسر من صُويحباتها بطريقة غير

مباشرة، فلعلها تستنتج اسم صاحب الدعوة. وبعد مخاطبة هاتفية أخيرة انهارت قواها، وشُلّ تفكيرها.

المسرحية من مشهد واحد طويل، يقوم على سيدة وخادمتها، استطاع المؤلف أن يصور حال الإهمال التي تحياها بعض الصبايا، وتوزع لوازمهن وإمكان استعارة بعض ألبستهن من صديقاتهن. اتخذ عنصر الفكاهة وسيلة لتصوير اضطراب البطلة، وطيّ الفكاهة رفق بحال البطلة الضالة.

والمسرحية الثانية «يد على يد»، مؤلفة من مشهدين طويلين، ومشهد ختامي قصير، يؤديها خمسة شخوص. لم يكن الأخ الصغير هو البطل، بل الأخ الكبير، فالأخ الصغير متضايق نفسيا من تصرف أهله معه، مما اضطره إلى الهرب منهم، تاركا زوجته برعاية أخيه الكبير، الذي يدّعي المعرفة ويشك في كل من حوله.

تُظهر المسرحية إنسانية أناس لا يمتّون إلى الأخ الأوسط بصلة كالجار والطبيب، اللذين أنقذا الفتى من محاولة انتحاره عند الرمق الأخير، في حين أن أخاه وزوجته قد بلغا من سوء التصرف والإهمال والشك حدّ أن كانا سببا في محاولة الأخ الصغير الانتحار للمرة الثانية، الذي نجح فيه. فالأخ إن لم يكن صديقا فالغريب أولى منه.

أما المسرحية الثالثة «طوبى للحلماء» فهي فكاهية ساخرة من مشهدين، قوامها عجوزان بليدان لا يقويان - كسلا - على خدمة أنفسهما، فيعمدان إلى طلب خادمة تلو الأخرى. وحين وفّقا إلى الأخيرة، قررا أن يبذلا ما في وسعهما لمراعاتها

وخدمتها لتبقى على مساعدتهما. وقد أدركت الخادمة هذا فراحت تتدلل عليهما، وتأمرهما كأنهما خادماها، حتى تهيأت لها ظروف السيطرة عليهما، فسرقت كل ما يمتلكان من ثياب وأثاث، وتركتهما شبه عاريين وانصرفت.

ونجد المسرحية الرابعة «رسالة المرأة العالمة» مبنية على مشهد واحد في ظاهر المدينة، وكان من عادة أحد الأمراء أن يرسل أحد رجاله كي يسرق له صبية من صبايا مدينة أخرى؛ كي يلهو بها. ويستطيع القارئ أن يسبح بخياله وهو يستمع إلى الحوار ويتصور ما يجري. لكن هذا الرجل قدم هذه المرة يحمل مهمة عسيرة، وهي أن ينفذ طلب أميره الذي يريد فتاة متعلمة، فلم يعد تروقه الفتيات الجاهلات.

وبطريقة ذكية يُشعرنا المؤلف أن الفتاة المتعلمة تحسن التصرف وتجيد التخلص من براثن الجشعين، حيث إنها تستخدم ذكاءها للإيقاع بمن قدم ليوقع بها بأسلوب فكاهي يُنعم علينا به عن طريق التشفّي من هذا الظالم.

ويسمو المؤلف في مسرحيته الأخيرة «منزل النور»، وذلك بتصوير حال قائد عالي الرتبة داهمه المرض فأوقعه في شلل مضنٍ، يقوم على خدمته ضابط مهمل متهاون في أبسط الأوامر العسكرية.

وزاد من سوء صحة القائد، ومن تدهور حالته النفسية، ما صرّح به الأطباء له من انعدام إمكان الشفاء... وهذا بالطبع تقصير من الأطباء. وبالمقابل يُبرز المؤلف طبيبا محنكا ذكيا، يدرك نهاية القائد، غير أنه يبعث فيه روح القوة والأمل بالشفاء، ليسترجع مكانته بين جنوده وأتباعه، ولو بلغ المرحلة الأخيرة من حياته.

ومع أن المسرحية من مشهد واحد، ومقصورة على ثلاثة ممثلين، فإنها كانت درسا نفسيا يرفع من المعنويات، وينفخ في الأجساد بعض النشاط. وعلى رغم كون المسرحية دراما دامعة، فإن فيها مواقف فكاهية تغير من مجرى الآلام.

وقد جمع المؤلف مسرحياته تحت عنوان المسرحية الأخيرة وهي «خانة روشَنى»، أي «منزل النور». ولقيت هذه المسرحيات شهرة واسعة، فمثلت غير مرة على مسارح طهران وغيرها، وطبعت عدة مرات.

ونجح المؤلف في تصوير جوانب مهمة ومتفرقة من مجتمعه، وأحسن تصويرها وإبرازها. فكان بحق خير كتّاب المسرح في بلاده، سواء في المسرحيات السياسية الوطنية في مسرحيته «في سبيل الحرية»، أو في المسرحيات الاجتماعية «منزل النور».

وإنني أشكر الظروف التي هيأها لي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت كي أتشجع وأقدم على ترجمة هذه السلسلة من المسرحيات، فلولاه لما أقدمت على الترجمة، ولما قدمتُ هذه الأعمال إلى القراء الأعزاء.

وأملي أن أكون قد وفّيتُ بعض الواجب العلمي في هذه الترجمة.

المترجم

المسرحية الأولى:

«دعوة»

شخوص المسرحية

- الفتاة

- آسيا : الخادمة

(غرفة ابنة في الثلاثين من عمرها. الغرفة مزدحمة وغير مرتبة. في أحد أطراف الغرفة طاولة الزينة، وإلى جوارها طاولة صغيرة مخصصة للهاتف. وبالقرب من طاولة الزينة خزانة ملابس كبيرة. وفي الطرف الآخر من الغرفة سرير لشخص واحد. للغرفة ثلاثة أبواب: تؤدي إلى الحمام، والدهليز، والغرفة المجاورة. تبدو الغرفة غاية في الفوضى وتراكم الأشياء المتفرقة بلا ترتيب. الأشياء مرميٌّ بعضها فوق بعض. طاولة الكي مع المكواة الكهربائية. وإلى جانبها على الطاولة جرامافون ترانزيستور مع عدة أسطوانات موسيقية، وعدة كتب ومجلات مبعثرة هنا وهناك مع أشرطة. وعلى الرغم من الفوضى الشديدة، فإن الأشياء الموجودة في الغرفة تدل على أن الفتاة تتمتع بحياة مرفهة للغاية. وتُرفع الستارة فيبدو المنظر خاليا، ويُسمع صوت فتاة شابة، وهي تغني في الغرفة المجاورة. وبعد لحظات عدة تدخل فتاة مرتدية ثياب المنزل، شعرها أشعث ولباسها المضطرب، متأبطة مجموعة من الثياب المتسخة. تمشي وهي تغني، متجهة نحو باب الدهليز. وحين تصل إلى المرآة تقف أمامها وتنظر إلى نفسها وتبتسم، ثم تدخل إلى الدهليز وتصيح).

الفتاة: يا آسيا!.. يا آسيا... تعالي لملمي هذه الأشياء، لقد رميتها في هذه الزاوية.

(تدخل الغرفة وتنظر حولها، تضع مشطا على أعلى رأسها، وتضع أسطوانة. تريد الذهاب إلى الغرفة الأخرى. تقف ثانية أمام المرآة، وتلقي نظرة خاطفة على نفسها. وعندما تقرر الذهاب يرنّ جرس الهاتف، فتقف الفتاة مترددة، ثم تُسكت صوت الجرامافون، وترفع السماعة).

الفتاة: آلو... أوه... سلام... سلام... كيف حالك؟ بخير؟... عجيب! والله (ضاحكة) لا بأس... أجل، أنا بخير... كلا... كلا... كلا، أقسم بذلك، حسنا، وبعدُ... أين؟ منزل من؟ ليس في المنزل؟ فأين إذن؟ آها!.. من تلك الأفعال الممتعة. أيتها العفريتة، أرى أن عدد ضيوفك قليل... حسنا... من هم؟ آها... وسيأتي زوجها أيضاً؟ فقد تصالحا إذن! كم عدد المرات حتى الآن؟ (تضحك) لا تعرفين عدد المرات؟ لقد زاداها عن الحد جدا... حسنا... أنا؟ لا... لا أستطيع... أقسم أني لا أستطيع... الليلة مدعوّة.. مدعوة قلت لك... لا... ليس سرا... لا تأخذنّك الظنون... لقد كبرتُ على هذه الأشياء... لم يعد أحد يعبأ بنا.. كلا... لايمكن... لقد قالوا ذلك منذ حين. كيف؟ وهل يمكن؟ لا يمكن... لا بد لي

من الذهاب... ليس حسنا. أنتِ تعلمين أنه لا يمكنني التخلص من هذه الدعوة... لا... أطفلة أنت؟... وهل يمكن؟... لا يا عزيزتي... القضية مضت وانتهت. حسنا... حسنا... ليس لأجل خاطره إنه اتصل بي هاتفيا منذ عدة أيام... لا شيء... سأل عن أحوالي وحسبُ... أنت تعرفين أخلاقي جيدا... لست من اللائي يُصررن على الشيء... عندما ينتهي شيء ما ينتهي حتماً. ولا يبقى بعد ذلك سوى المحاولة بالقوة دون جدوى... لا على كل حال، لم يكن هناك شيء خارق أو استثنائي... لا أقسم بذلك؟... لم أكن أتوقع ذلك. أو تريدين أن أرتمي على يديه وقدميه؟ لا ، أنا لا أجيد نصب الفخاخ... ثم لماذا؟... ألم تمر الأيام حتى الآن بخير؟

(تضحك) أنا لست بسيطة، بل مجّربة... واه، واه، واه... وهل قلب الإنسان خان يرتاده الناس؟ ماذا تعنين بأن الأمور سائرة؟ فلتسرِّ... إلى الجحيم... لا...لا... لست غاضبة... لا يحتاج الأمر إلى كل هذا الكلام... لا تذكري هذا الأمر بعد ذلك أبدا.

(تضحك) قلت لا يمكن أبدا... ماذا؟ أنا لا أتحمل تلك الجماعة! لا أتحمل أي شيء... اعتذري لي منهم جميعا... لا يوجد أمسِ واليوم.. أنت تعلمين أنني مستعدة لكل شيء... لا لم أستطع فعل شيء

بعده هناك ما يذكّرني فجاءة... لا تدرين أي شكل أنا عليه الآن. (تمسح رأسها بيدها) إنه وسخ... أشعت... فؤادي يتقزَّز من نفسي... (تضحك)... من الفوضى يا عزيزتي.. من الفوضى. لو كنت هنا لشاهدت بنفسك... غرفتي مثل سوق الشام... لا أعرف... لا أعرف أيا منها... نعم... محل ممتاز... مع عدة أشخاص جيدين... أنا أعتمد عليه كثيرا... أبداً.. حسنا... هذا أيضاً من مميزاته حتما... مجاملة؟ حسنا... لا يمكن ترك المجاملة... على كل حال آسفة... أنا نفسي أرغب... إن شاء الله في مرة قادمة... فداك روحي... مع السلامة.

الفتاة: (تضع السماعة... تنظر حواليها) لم أتمكن من فعل أي شيء (مترددة، ثم تتجه فورا نحو الخزانة ، وتفتش بين ألبستها... تقلب عددا من الثياب. تخرج ثوبا... تضعه على جسدها... تجربه فلا يعجبها... تتناول ثوبا آخر... وشيئا فشيئا ومن غير أن تشعر تهمهم وتدندن. طوال مدة عرض المشهد كلما تذكرت الفتاة الدعوة دندنت بحنجرتها... تجرب ثوبا آخر فلا يعجبها... حائرة، تفكر... تأتي بكرسي وتضعه أمام الخزانة وتجلس عليه وتتفرج. تحاول أن تختار ثوبا من بين تلك الثياب. وأخيرا تخرج

ثوبا، تجربه... صوت دندنتها يعلو. تضع ثوبا على بدنها وهي واقفة تجاه المرآة... تعبث... يعلوها السرور.

تتناول ثوبا آخر، وتأخذه بيدها اليسرى. وتستمر على هذه الحال، وهي تفحص نفسها مع الثياب الواحد تلو الآخر... يعتريها التردد والحيرة، فتتهاوى يدها... وفي هذه الحال تصيح).

الفتاة: يا آسيا... يا آسيا. (تنتظر، تخاطب نفسها) أي ثوب أرتدي؟ (تفكر... يقع بصرها على صورتها في المرآة) ماذا يليق بك أكثر؟

آسيا: (أمام الباب) نعم سيدتي؟

الفتاة: (تنتبه إلى نفسها ، وتعدل من لهجتها) انظري هنا إلى هذه الفوضى وهذا الاضطراب!

آسيا: أنت ألقيت هذه الأشياء يا سيدتي (وتشرع في ترتيب الغرفة).

الفتاة: ماذا تفعلين؟ دعي هذا... الآن وقت هذا؟ متى تعود والدتي؟

آسيا: لا أعلم.

الفتاة: فماذا تعلمين إذن؟ (صمت) لدي الآن ألف عمل، وهي غائبة.

آسيا: حسنا... سأساعدك.

الفتاة: أنت ؟ (تمعن النظر في آسيا، وتضع الثياب

على السرير... تتأمل آسياوالغرفة دونما هدف... تخطو بضع خطوات... تنظر إلى السرير، والمرآة، والهاتف، ثم تتفحص أناملها وهي مترددة).

آسيا: ماذا جرى يا سيدتي؟

الفتاة: لا تربكيني... لا تربكيني (تخاطب نفسها) دعيني أرَ ماذا علي أن أفعل... واحدا واحدا... الثياب... حلاقة شعري... يعني أصل... كم الساعة (تتناول ساعتها من فوق طاولة الزينة وتنظر فيها).

آسيا: متى عليك أن تذهبي؟

الفتاة: لا أدري... قلت لك دعي ذهني مشغولا بأمر نفسي... لا أعرف شيئا..

(تتجه نحو الخزانة، وتبحث عن ثوب، يعتريها الغضب لأنها لم تجد بغيتها) الفتاة: (تسأل نفسها) أين وضعته؟

آسيا: عم تبحثين يا سيدتي؟

الفتاة: لا أبحث عن شيء محدد (تنتبه نحو الثياب فوق السرير) آها... هنا... ذهني شارد... اسمعي يا آسيا (تتناول الثياب) برأيك أي من هذه الثياب يناسبني أكثر؟

(أمام المرآة) هذا؟ (تضع ثوبا على جسمها) أم هذا؟ (ترفع ثوبا آخر) .

آسيا: أنا لا أراك!

الفتاة: في المرآة... انظري نحو المرآة وليس ظهري (تتقدم آسيا، وتنظر إلى الفتاة في المرآة)

آسيا: حسن؟

الفتاة: جميل جدا.

آسيا: أيهما؟

الفتاة: كلاهما.

ولكنني لا أستطيع ارتداء الثوبين معا،

آسيا: قلت: أيهما؟

الفتاة: أي ثوب تختارين يناسبك.

آسيا: لو كنتِ أنت، ماذا كنت تختارين؟ أنا؟ (تتناول ثوبين، تنظر اليهما نظرة فاحصة، وتقف أمام المرآة وتجرب)... ماذا أقول... لو كنت أنا (ومن غير انتقاء) هنيئا لك (تبتسم الفتاة) أنت أيهما تفضلين؟

الفتاة: لو كنت أعلم لما سألتك.

آسيا: ولكن تفضيلك أساس.

الفتاة: دعي ما أفضل جانبا... وأخبريني عن رأيك.

آسيا: أنا أختار هذا (تنتقي واحدا).

الفتاة: هذا؟ ولماذا هذا؟

آسيا: لأنه جميل.

الفتاة: ولكن لماذا؟

آسيا: لأنه جميل جدا.

الفتاة: ما الجميل فيه؟ أتستطيعين أن تقولي؟

آسيا: تعرفين يا سيدتي... لونه جميل... خياطته جميلة... شبيه بالقمر.

الفتاة: (مقتنعة ومتأملة) شبيه بالقمر؟

آسيا: جميل جدا... رائع.

الفتاة: (راضية) سأرتديه.

آسيا: (بامتنان) ألم أقل لك؟

الفتاة: (تنحي الثوب الثاني جانبا... وتخطو في الغرفة، حاملة الثوب الذي اختارته) هذا هو الأفضل (أمام المرآة) أجل... هذا أفضلها (تضع الثوب على جسمها)... طوقه مفتوح... أكتافه عارية... ذيله... أليس طوق الثوب مفتوحا أكثر من اللازم؟

آسيا: كلا يا سيدتي... إنه جميل جدا.

الفتاة: حسنا، وسأضع وردة الصدر في هذا المكان من الثوب. (ترمي الثوب على الطاولة، وترسل شعرها إلى الوراء ، وتدندن).

آسيا: ألن ترتديه؟

الفتاة: بهذا الرأس... على تلك الحال؟! حسنا، وماذا عن الحذاء؟

(توجه نظرها نحو الخزانة، وتخرج عدة صناديق أحذية من الطبقة السفلى للخزانة، وتتفحصها بدقة) كل هذه الأحذية لا يناسب زوج منها هذا الثوب.

آســـيـــا: هذه الأحذية جيدة كلها، وبعضها لم ترتديه ولو مرة واحدة.

الفـتـاة: إنما أتكلم عن لونها (بخلق متعجرف) مثلا... هل يتطابق لون هذا الحذاء مع لون الثوب؟

آســـيـــا: لا... لا يتطابق.

الفـتـاة: فماذا ترين إذن؟

آســـيـــا: حسنا... وتلك الأحذية؟

الفـتـاة: تلك... الأمر نفسه.

آســـيـــا: طبقا لما أعلم... لا بد من أنها دعوة من تلك الدعوات المهمة.

الفـتـاة: ولماذا؟

آســـيـــا: لأني أراك مضطربة جدا، ولم يسبق أن حصل معك مثل ذلك.

الفـتـاة: (غاضبة) ماذا؟ لم يسبق أن حصل هذا معي؟ أتتركينني أنجز عملي أم لا؟ (تتجه نحو الأحذية، وتقلبها وتتفحصها جميعا) فضيحة.

آســـيـــا: آسيا: لماذا هي فضيحة يا سيدتي؟ لن يتنبه أحد إلى ذلك.

الفـتـاة: كيف؟ وهل الناس عميان، وليس لهم عيون؟

آســـيـــا: ومن الذي يدنو وينظر إلى حذائك؟

الفـتـاة: في دعوة كبيرة، على المرء أن يهتم بكل شيء... الحذاء... القبعة... الثياب... الشعر .

آســـيـــا: فلينظروا يا سيدتي، فما المشكلة؟

الفـتـاة: ليس ثمة مشكلة مطلقا، ولكن ماذا عني أنا؟ فقد لا يعلق أحد على شيء... إنما أنا... أنا أيضا إنسان (تفكر) ما أصعب ذلك!

(تنهض، فترمي الثوب جانبا، وتتمدد على السرير)

آســـيـــا: ألن تذهبي يا سيدتي؟

الفـتـاة: إلى أين؟

آســـيـــا: إلى الدعوة.

الفـتـاة: (تنهض) من قال إني لست ذاهبة؟ سأذهب مهما كلف الأمر... وهل يمكنني ألا أذهب؟

آســـيـــا: وماذا أنت فاعلة الآن؟

الفـتـاة: بماذا؟

آســـيـــا: بالحذاء.

الفـتـاة: (مصممة) سأسوي الأمر...

آســـيـــا: كيف؟

الفـتـاة: (بتصميم أكبر) سأسوي الأمر... لا شيء مستحيل... اصبري دقيقة (تتجه نحو الهاتف) اصبري... (تبحث عن رقم هاتف، تجده. تتقدم آسيا وتقف، تتطلع إلى سيدتها).

الفـتـاة: ألو... عزيزتي «سوسن»... السلام عليك... كيف الحال؟... نعم... أنا... شكرا... وأنت كيف

الحال؟... بخير؟ لاشيء... أردت أن ألتمس منك خدمة (بضحكة مفتعلة) وقعت لي مشكلة... لا يا عزيزتي... لا تستعجلي... كل ما هنالك أنني يجب أن أذهب إلى مكان ما، وليس بين يدي حذاء يناسب ثوبي... وقد تذكرت فورا أن مقاس قدمي وقدمك واحد... لا... أردت حذاءك الأحمر... ماذا تفعلين؟ ترسلينه مع الأخ محمد؟ فدتك روحي... أنت لا تحتاجين إليه الآن؟... نعم؟... ممنونة جدا يا عزيزتي سوسن... إذن محمد سيحضره... نعم... فدتك نفسي... مع السلامة.

الفتاة: (تضع سماعة الهاتف وتخاطب آسيا وهي فرحة). أرأيت؟ (تضحك وتدور حول نفسها) أرأيت؟ لقد تم كل شيء.

آسيا: تنبهي حتى لا تتأخري يا سيدتي.

الفتاة: (تنتبه لنفسها) صحيح، كم الساعة؟ (تعدو وتنظر في ساعتها الموضوعة فوق طاولة الزينة) بدأ الوقت يتأخر.

آسيا: (باستعجال) فعجلي إذا... أسرعي وباشري.

الفتاة: أستعجل بماذا؟

آسيا: بالذهاب... بالذهاب.

الفتاة: (مضطربة، ولا تدري ماذا تفعل) محتارة بهذا الرأس... بهذه الحال... وبكل هذه القذارة (تتجه نحو الحمام، وتدخله.

صمت... تنصت آسيا. تتجه الفتاة نحو الباب مترددة) يا آسيا.

آسيا: نعم يا سيدتي.

الفتاة: هل أغتسل؟

آسيا: وهل عندك الوقت الكافي؟

الفتاة: لماذا لم أتذكر قبل الآن؟ علقي المكواة في الكهرباء فورا (تتجه آسيا نحو المكواة، وتضع شريطها في الكهرباء). هل الحمام ساخن؟

آسيا: لقد أوقدته... أخيرا.

الفتاة: ومتى يسخن؟

آسيا: الآن.

(تدخل الفتاة الحمام، وتتكلم من الداخل)

الفتاة: وماذا أفعل لو لم يسخن؟

آسيا: سيسخن... وحتى تخرجي من الحمام أكون قد كويت لك الثوب.

الفتاة: وهل تستطيعين؟ إنه ليس من شأنك.

آسيا: كيف ذلك يا سيدتي؟ ومن الذي يكوي عادة؟

الفتاة: هذه المرة ليست ككل مرة.

آسيا: (متعجبة) لم أكن أعلم.

الفتاة: (صائحة) يا آسيا... أحضري خفي النظيف من تحت السرير إلى هنا.

(تخرج آسيا الخف من تحت السرير) ناوليني الخف بسرعة (تأخذ الخف وتنتعله وتدخل

الغرفة، وتشتغل بتنظيف قدميها بالمنشفة)
أرجوك يا آسيا أن تطلبي حلاقتي بالهاتف.

آسيا: (ترفع السماعة ، وتدير القرص بالأرقام) ألو... ألو... السيدة موجغان ؟ انتظري لحظة (تشير إلى الفتاة).

الفتاة: انتظري لحظة... (تنشف قدمها بسرعة، وترمي المنشفة على الأرض ، وتتجه نحو الهاتف). ألو... السلام عليك... كيف أنت يا عزيزتي؟ هل أرى عندك وقتا؟ (تشير إلى آسيا كي تحضر الكرسي بالقرب من الهاتف) لا؟ كيف لا؟ إني ذاهبة في دعـــوة (تجلس على الكرسي) أجل... زيارة مهمة... مكان مهم كلا... الآن الآن... بل إنني تأخرت... أليس في وسعك أن تجدي حلا؟... التمسي من إحداهن كي تتنازل عن دورها لي... فماذا أفعل؟... لا... لا... لا يحتاج الأمر إلى أن تخجلي مني... مع السلامة.
(تضع السماعة في مكانها، وتمسك رأسها بيديها). لا يمكن هذا.

آسيا: سيدتي.

الفتاة: ماذا؟

آسيا: ليتك اتصلت بها في وقت مبكر.

الفتاة: (ثائرة) وماذا كان يحصل قبل؟ لو أني اتصلت في وقت مبكر ماذا كان يحصل؟

آســـيـــا: (متعجبة) لاشيء.

الفـــتـــاة: (ممسكة ذقنهـا بيـدها وهـي تنظر إلى المرآة، وتضـحك ضحكة مكتومـة) أف... منة من منهن علي أن أتحمل؟

آســـيـــا: لا داعي للأسى يا سيدتي العزيزة.

الفـــتـــاة: مـاذا تقـولين؟ مـاذا أفـعل بهـذه المصـيـبـة؟ (تمسك بخصلة من شعرها بيدها وتهزه) ها؟ ماذا أعمل؟

آســـيـــا: في كل مكان يوجد ماء ومشط يا سيدتي.

الفـــتـــاة: ماء ومشط؟

آســـيـــا: (بحذر) حسنا... فاغسليه.

الفـــتـــاة: أغسله؟ وهل يمكن هذا؟ (بصوت عال) إياك أن تحرق المكواة.

آســـيـــا: (تسرع نحو المكواة... تدخل الفتاة الحمام. آسيا بصـوت مـرتفع) لقـد سـخنت المكواة تمامـا يا سيدتي، فماذا أفعل؟

الفـــتـــاة: (من داخل الحـمـام) مـاذا تفـعلين؟... دعـيـهـا تحترق.

(يرتفع صوت الماء)

آســـيـــا: تحترق؟

الفـــتـــاة: (تمد رأسـهـا من جـانب البـاب) افـصلي التـيـار أيتها البلهاء.

آســـيـــا: ماذا أسحب؟

الفتاة: اسحبي سُم الثعبان.. أقصد ذلك الملعون.

آسيا: على عيني (تفصل التيار عن المكواة).

الفتاة: هل احترقت؟

آسيا: كلا... لم يحصل شيء.

الفتاة: ولم أنت واقفة تتفرجين؟

آسيا: وماذا علي أن أفعل؟

الفتاة: تعالي ساعديني على غسل رأسي.

آسيا: تغسلين رأسك؟

الفتاة: أجل... أغسل رأسي (تفكر)... هل أغسل رأسي؟ ولو غسلته فلن يجف... ليتني كنت أملك مجففا للشعر. آسيا، هل يمكنك الذهاب إلى السيدة سرهنك وتأخذين من عندها المجفف اليدوي؟

آسيا: أذهب إن أردت.

الفتاة: (مترددة) كلا... هذا عمل له سمعة غير طيبة... غدا يلوكونني بألسنتهم. (تمسح شعرها بيدها) إذن.. (بنظرة التماس) فماذا تقترحين علي أن أفعل يا آسيا؟

آسيا: بماذا؟

الفتاة: بهذا الرأس المصيبة؟

آسيا: الخلاصة... لا بد لك من أن تفعلي شيئا في نهاية الأمر... وحاولي ألا تتأخري.

الفتاة: ألفُّه بنحو ما... أنا وحظي... في النهاية سيبدو بشكل ما (تفتح درج الطاولة، تخرج عددا من لفافات الشعر، تمشط شعرها بسرعة وتلفه) علي ببعض الماء يا آسيا.

آسيا: سيدتي.

الفتاة: ماذا؟

آسيا: سيأخذ فعلك هذا وقتا طويلا جدا.

الفتاة: (منزعجة، ترمي ما كان في متناول يدها على الأرض) قولي لي أي مصيبة أفعلها؟

آسيا: كان عندك شيء ما.

الفتاة: ما هو؟

آسيا: تلك «الباروكة»... قلت إنك اشتريتها بسعر غال جدا.

الفتاة: أجل... صدقت (بسرور) حياك الله يا آسيا... لقد أرحتني... لم تخطر على بالي (تنظر إلى نفسها في المرآة) ألا يغدو منظري مضطربا؟

آسيا: بالعكس... إنها تليق بك تماما.

الفتاة: وهذا ما سأفعله... (تنهض) راقبي المكواة لئلا تبرد (آسيا تبل يدها وتفحص المكواة). مدي شيئا على الطاولة (تضع الثوب على الطاولة، وتذهب نحو الخزانة لتأخذ الباروكة. يسمع قرع جرس الباب بشدة، فتصاب كلتاهما بصدمة، فتنظر كل منهما إلى الأخرى).

الفتاة: يارب... من القادم في مثل هذا الوقت؟ من هذا أيضا؟

آسيا: لا أدري.

الفتاة: أهو ضيف؟

آسيا: حتما، لأن كل من في البيت عنده مفتاح.

الفتاة: آه... إنه ليس منزلا... بل هو خان... هذا يأتي وذاك يذهب... دائما هم في ذهاب وإياب.

آسيا: هل أذهب وأفتح الباب؟

الفتاة: ماذا...؟ تفتحين؟

آسيا: أفلا أذهب؟

الفتاة: كلا... امكثي في مكانك.

(يستمر قرع الباب بشكل مرتفع)

آسيا: أيا كان الأمر فإنه شخص مصرّ... إنه يعلم أننا لا نترك المنزل خاليا مطلقا.

الفتاة: دعيه يقرع الجرس حتى يضيق ذرعا. بعد أن يطول انتظاره سيمل ويذهب في داهية (يستمر قرع الباب بشدة).

آسيا: أو تريدين أن أذهب وأقول أنه لا أحد في المنزل؟

الفتاة: وماذا إن كان من أصدقائنا؟... سيخفض رأسه ولا يصعد (صوت قرع الجرس).

آسيا: اسمحي لي بإلقاء نظرة من النافذة.

الفتاة: حاذري أن يراك.

آسيا: سأنتبه... (تنظر نحو الخارج) إنه رجل.

الفتاة: رجل؟ ما شكله؟

آسيا: من هنا... من فوق ليس واضحا بشكل جيد.

الفتاة: دعيني أرَ (تتجه نحو النافذة... تحني رأسها... وفجأة تتنبه لنفسها، وتقول لآسيا) وي... وي... أسرعي... أسرعي... إنه محمد... (أتى بالحذاء تطل من النافذة) هيا محمد... محمد اصبر دقيقة... اصبر... ستأتيك الآن (تعود إلى الغرفة)... عجلي (حائرة، مضطربة، تائهة بين الأبواب الثلاثة: باب الدهليز، وباب الغرفة، وباب الحمام. ثم تقرر الاتجاه نحو باب الدهليز. تصعد آسيا ومعها صندوق الحذاء... وتضحكان فرحتين. تتأبط الفتاة الصندوق، وتدندن على عادتها)

آسيا: قال إن السيدة تسلم عليك.

الفتاة: (تدفع صندوق الحذاء إلى آسيا) افتحيه لأرى (تحاول آسيا فتحه). اقطعي الخيط... آه... أفلا تعرفين كيف تفك العقدة؟ هاته... لا يحتاج الأمر إلى كل هذا الوقت. (تفتح الصندوق، وتخرج الحذاء... ترفعه إلى الأعلى وتصفر فرحة) يا سلام... ما أجمله!... إنه ممتاز... هي نفسها... نفسها... انظري هل يناسبني؟ (تتعل الحذاء، وتتجه نحو طاولة الكي، وتقارن بين الثوب والحذاء)... هذا ما أردت تماما... اللون نفسه... تعالي... تعالي انظري... (تسير، وتحرك جسمها بدلّ وغنج) أمناسب أم لا؟

آســـيـــا: جميل جدا.

الفـــتـــاة: أين تنظرين؟ انظري نحـــو الحـــذاء لا نحـــو وجـهي... (تخلع الحـذاء) هذا شيء جـيـد... انتهينا من أمر الحذاء (تتجه نحو المكواة) وهذا يجب أن يتم أيضا... وقد تم... هذا أيضا أصبح على مـا يرام... وأنا نفـسي سـأكـون على مـا يرام... وأنت أيضـا ستصبحين على ما يرام... كل شيء سـينجـز حـتـمـا... كـيف ترين الدنيـا؟ الدنيا ستصبح على ما يرام أيضا... ليس عليك أن تحزني لأي شيء، ولو كان الموت... حتى الموت فليكن... ليس فيه ما يدعو إلى الحزن (تضحك وتغني) لا لا لا... (حين يتم كي الثـوب تحـمله وتضعه على جسمها، وتدور حول الغرفة).

آســـيـــا: إياك أن تتأخري.

الفـــتـــاة: أتأخر؟... وي... يا الله (سعيدة ومضطربة) ماذا علي أن أفعل أولا؟

آســـيـــا: ارتدي ثوبك.

الفـــتـــاة: علي أولا أن أغسل وجهي... وبعد ذلك.

آســـيـــا: افعلي أي شيء... ولكن أسرعي.

الفـــتـــاة: وأنت، عـوضـا عن أن تصـدري الأوامـر... قـومي بعمل شيء ما.

آســـيـــا: وماذا أفعل؟ أنا لن أذهب إلى الدعوة.

الفـــتـــاة: قومي ابحثي عن ساعتي وحقيبتي وأحضريهما،

وضعيهما في متناول يدي... انظري حال الطقس... لقد كان الطقس غائما قليلا بعد الظهر... فإن كان مازال غائما فأحضري مظلتي.
(تذهب آسيا).
أخاف أن تمطر، وتختل الأمور كلها... لا يمكن الاطمئنان إلى الطقس مطلقا... إنه لا يعرف العدل ولا الإنصاف (تخرج الباروكة، وتتجه نحو المرآة) ما الخبر يا آسيا؟

آسيا: الطقس لا يبشر، ولذلك أحضرت لك المظلة.

الفتاة: بارك الله فيك يا آسيا... انظري غدا ماذا سأفعل في حفل عرسك... سأعوضك عن كل تعبك (تضحك آسيا، بينما الفتاة مشغولة جدا في تزيين وجهها) آسيا... غدوت جميلة، أليس كذلك؟ اصدقيني القول.

آسيا: (تناولها الثوب) ارتدي هذا... وبعد ذلك أقول لك كيف غدوت؟

الفتاة: حاضر يا جناب السيدة (تضحك، وترتدي الثوب. وفي أثناء ارتداء الثوب) حسنا يا آسيا... أرأيت النهاية؟ لابد بادئ ذي بدء من إنجاز الأمر بعناء... إلى أن يتم كل شيء، ويصبح على ما يرام... منتظما... سليما... عندذلك تزول كل المتاعب... ينجلي التعب من جسم الإنسان، يصبح المرء نظيفا... مرتبا... أنيقا... جميلا.

الكل ينهض له... ويفسحون له مكانا في المجلس... يفسحون له في الطريق... يجاملونه... ينحنون له... يحترمونه.

(تدنو من آسيا) شدي سحاب ظهري الآن (تشد آسيا سحاب الفستان... تنتعل الفتاة الحذاء... وتضع الباروكة على رأسها، تنظر إلى أظافرها... تأخذ حقيبتها اليدوية، وتنظر إلى المرآة لآخر مرة... كل هذه الحركات تتم بلطف وتوازن... ثم ...).

الفتاة: حسنا هذا عن هذا... كل شيء غدا على ما يرام... والآن علي أن أذهب (تغمز بعينها).

آسيا: أرجو لك السعادة.

الفتاة: حتما سأكون سعيدة... سأعود متأخرة في الليل... قولي لهم ألا ينتظروني... لا تغلقي مزلاج الباب (تنظر في حقيبتها) معي مفتاح... أخبريهم أنهم سيوصلونني في آخر الليل... ألا يقلقوا.

آسيا: على عيني... سأقول لهم.

الفتاة: حسنا... عليَّ أن أذهب الآن.

آسيا: مع السلامة.

الفتاة: الله معك.

(تتجه نحو الباب، تقف ثم تعود مبهوتة تفكر، تعود إلى المرآة... ملأ الذعر وجهها... تنسى نفسها، تتراخى يداها وقدماها... تعود إلى

وسط الغرفة حائرة مبهوتة... تنظر إلى كل شيء بعجز وأسى).

آســـيـــا: ماذا حصل يا سيدتي؟... هل وقع لك مكروه؟ (الفـتـاة لا تجـيب .. تحـدق النظر إلى الأمـام مذهولة).

ماذا جرى يا سيدتي؟ ماذا طرأ عليك؟ (تمسك الفتاة التي انحنت بلا إرادة) استريحي لحظة يا سيدتي (تجلس الفتاة)

الفـتـاة: آسيا.

آســـيـــا: نعم.

الفـتـاة: إلى أين أنا ذاهبة؟

آســـيـــا: إلى أين كنت تريدين الذهاب؟

الفـتـاة: نعم... إلى أين؟

آســـيـــا: إلى الدعوة يا سيدتي!

الفـتـاة: إلى الدعوة؟ أي دعوة؟

آســـيـــا: أنا لا أدري.

الفـتـاة: لا تدرين؟

آســـيـــا: آسيا: كلا.

الفـتـاة: ألم أقل لك؟

آســـيـــا: أجل قلت.

الفـتـاة: حسنا... إلى أين قررت الذهاب؟

آســـيـــا: إلى أين...؟ لم تقولي.

الفـتـاة: فكري قليلا لعلي قلت.

آســـيـــا: بماذا أفكر يا سيدتي؟ أنت لم تذكري ذلك أصلا.

الفـــتـــاة: أرجوك يا آسيا أن تفكري.

آســـيـــا: إن أنا فكرت فلن تستطيعي أن تتذكري.

الفـــتـــاة: أصلا... هل كان مقررا أن أذهب إلى مكان ما أم لا؟

آســـيـــا: حتما كان مقررا أن تذهبي.

الفـــتـــاة: أأنت متأكدة؟

آســـيـــا: أنت نفسك قلت.

الفـــتـــاة: متى؟... متى ذكرت هذا؟

آســـيـــا: اليوم بالذات.

الفـــتـــاة: (تنهض فجأة) فلماذا حصل معي هذا فجأة يا آسيا؟ آترين أني نسيت؟

آســـيـــا: لا أدري يا سيدتي... لقد تزاحمت الأمور حتى إنَّ...

الفـــتـــاة: أتعتقدين أن أعصابي حدث لها شيء؟

آســـيـــا: لا سمح الله يا سيدتي.

الفـــتـــاة: فكيف إذن حدث أن...

آســـيـــا: تمشّي قليلا الآن... فلعلك تتذكرين .

الفـــتـــاة: (وهي سائرة) أمشي لعلي أتذكر؟ (تخاطب نفسها) كنت أمشي فنسيت.

آســـيـــا: (تسير إلى جانب الفتاة كتفا إلى كتف) سيري وفكري... سيري وفكري.

الفـــتـــاة: (وهي تعض أناملها) ماذا أفعل ؟

آســـيـــا: فكري... هيا فكري... ثم قولي... آها... آها... افعلي هذا تتذكري.

الفتاة: كيف؟

آسيا: عندما كنت تريدين أن تقومي بعمل، أو غاب عن خاطرك شيء ما... كنت تفعلين هذا (تعبس، وتمسك ذقنها بيدها) ألا تذكرين هذا؟ (تضحك) كلما أردت أن تفكري.

الفتاة: لا تتكلمي بشيء يا آسيا... اصمتي دقيقة.

(تسير آسيا في ذلك الوقت وهي تمعن النظر في وجه الفتاة. كلما انفرجت أسارير الفتاة انفرجت أسارير آسيا، وبدت البسمة على شفتيها. وكلما ازداد انزعاج الفتاة تبدلت صورة آسيا وبدا عليها السخط).

آسيا: (بحذر) سيدتي.

الفتاة: ما بك؟

آسيا: هل أحضر لك ما تأكلينه؟

الفتاة: ماذا؟

آسيا: لا أدري... أي شيء تحبينه.

الفتاة: ولماذا؟

آسيا: لعلك تتذكرين.

الفتاة: لا يتذكر المرء عن طريق الطعام.

آسيا: (تصب كأسا من الماء) خذي جرعة من هذا الماء... (تتابع الفتاة سيرها، وآسيا تمد الكأس أمامها) لأجل خاطري، بالله عليك يا سيدتي .

الفتاة: (تأخذ الفتاة كأس الماء، وتبل شفتيها... تنتظر

آسيا مبتسمة... وتحدق في عيني الفتاة) أسيا؛ (بحدة) دعيني وشأني... دعيني أنظر أي كارثة ستقع على رأسي... (تجلس غاضبة... تهدأ) أنا إن كنت ضيفة... إن كنت مدعوة... فأين مكان الدعوة ؟ وإن لم أكن... إذن، فلماذا أعددت نفسي؟

آســـيـــا: أنت مدعوة حتما، ولو لم تكوني كذلك لما اندفعت بهذه الشدة، ولا اهتممت كل هذا الاهتمام بإعداد نفسك. على أني أنا نفسي يحصل معي مثل هذا أحيانا... فقد أذهب لأشتري شيئا، فإذا بي أنسى طلبي... فأسير كالضالة أمام هذا الدكان وذاك، وأدعو وأكرر: يارب، ماذا كنت سأشتري؟ أنظر إلى النقود، وأدعو ربي وكل ما يخطر على بالي أقوله بصوت مرتفع... لكنني لا أتذكر، ولا أتذكر. وحين أبلغ المنزل يترامى طلبي إلى خاطري... ويبدو أنك أصبت بهذه الحال .

الفـــتـــاة: أتعنين أني نسيت؟

آســـيـــا: أجل، فإن لم تكوني نسيتِ فماذا جرى لك؟

الفـــتـــاة: نعم... كيف حصل هذا لا أدري... ربما... (مصممة) أفهم الآن (تخلع عنها معطفها، وتهرع نحو الهاتف) لابد لي أن أفهم إلى أين كنت ذاهبة. (يبدو وجهاهما مضحكين وهادئين. الفتاة تنشغل بضرب رقم الهاتف وآسيا تضع أسطوانة على الجرامافون، فتمتلئ الغرفة بالموسيقى).

الفتاة: اخفضي صوته... اخفضيه (تشعل لفافة) ألو... ألو... عزيزتي جالة... السلام عليك... كيف؟... لاشيء... في بيتي... لا شيء... وأنت ماذا ؟ تخيطين شيئا... (تتضايق وينفد صبرها) هنيئا لك... حسنا... أي خدمة... أنا؟ لا أردت فقط أن أطمئن عليك... إن شاء الله. أفديك بنفسي (تضع السماعة).

من بطالتها جلست تخيط... فهي غير ذاهبة إلى مكان (تطلب رقما آخر بالهاتف وتقول لآسيا).

على أي حال أينما سأكون، سيسألونني لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟

(بجدية كاملة) ألو... السلام عليكم... كيف أنت؟... أجل... أجل. شكرا، لا بأس... يسلمون عليك. أردت أن أكلم مينو العزيزة... ليست موجودة؟ إلى أين ذهبت؟ ألا تعلمين إلى أين ذهبت؟... إلى السينما؟ آها... إذن هي ذهبت إلى السينما... لا، لا أريد منها شيئا... فقط أردت الاطمئنان عليها... شاكرة لطفك (تضع السماعة، وتسحب قليلا من دخان لفافتها).

آسيا: (قلقة) سيدتي!

الفتاة: (بحدة) كلا... ذهبت إلى السينما.

(تسير في الغرفة، رأسها يؤلمها، لا تدري ماذا تفعل... تتجه نحو الهاتف... تضرب رقما وهي

يائسة... لا أحد يرد على الهاتف... تصغي الفتاة وقد نفد صبرها).

الفتاة: لماذا لم يرد أحد؟ أين ذهبوا؟ (تضع السماعة غاضبة. تنتابها حالة من اليأس شديدة... ثم تعود إلى الهاتف، وتضرب رقما... تمتص دخانا متتابعا من لفافتها بشكل سريع... تصغي... تنتظر... تصغي... وجهها يشرق).

الفتاة: ألو .. السلام عليك .. كيف أنت يا عزيزتي مليحة؟ بخير؟ حسنا، ما أحوالك، ما أخبارك؟... جالسة في البيت؟ ألا تنوين الذهاب إلى مكان ما؟ (مرتبكة) مجرد سؤال... والله لم أجد وقتا... أتمنى كثيرا... آها... آها... فقد سررت... كيف؟... هاتف؟... كلا... طيب فحدثيني .. لكن الآن (تعود فتشير إلى آسيا معبرة عن ضجرها وضيقها)... حسنا... آهة... آها... حسنا... (تضع يدها على سماعة الهاتف وتقول لآسيا) لا تتوقف في كلامها... إنها لا تتركني.

(تتكلم بالهاتف) ها... (تصغي منزعجة... وفي النهاية تضع السماعة على الكرسي، وتمشي في الغرفة).

ما هذا الخطأ الذي ارتكبته؟... تتكلم وتتكلم (تشرب قليلا من الماء، وترفع السماعة) ها... حسنا... هكذا إذن (تضع السماعة ثانية على الكرسي) خنقتني...

كفى هذا... (تدور حول الغرفة منزعجة وتخاطب الهاتف بصوت غاضب ومنخفض).

الفتاة: عليك اللعنة أيتها المرأة... أريحيني...
(تأخذ السماعة ثانية) آها..آها..أو..

الفتاة: (تضع يدها على مكان التكلم من السماعة) إنها لاتتوقف عن الكلام

آسيا: قولي لها إنك مشغولة الآن... وستتصلين بها فيما بعد.

الفتاة: وهل يقنعها هذا ؟ (بالهاتف)حسنا... آها... (غاضبة أكثر) آها... (تضرب رأسها بالسماعة وتقول بصوت عال) حسنا جدا... (بانزعاج بالغ) لست معك نادتني آسيا من تحت..ماذا؟ أتركها؟... لابد أن لها حاجة معي (لاتستطيع أن تتحمل أكثر ، تنهض)
إنها عندما تتكلم لا يمكن إسكاتها.

آسيا: اقطعي الاتصال يا سيدتي.

الفتاة: كيف أقطع؟ هي نفسها يجب أن تشعر وتفهم.
(ترفع السماعة ثانية)آها... آها... (تبكي وهي غاضبة..تعض يدها... تتقدم آسيا).

آسيا: (بصوت منخفض) الآن أناديك بصوت عال، وأقول لك: جاء ضيف.

الفتاة: أسرعي افعلي شيئا (بالسماعة) حسنا... أجل
(تمد السماعة نحو آسيا).

آســـيـــا: سـيـدتي إنهم ينتظرونك منذ سـاعـة... قـدم الضيوف ويسألون لماذا لا تأتين ؟

الفـتـاة: (مـضطربة) هأنا ذا قـادمـة (بالهـاتف) أعـتـذر إليك كثيرا ..جاءني ضيوف وعلي أن أذهب... لا... لا... أنا نفـسي آتي إليك... في هذه الأيام... لا أعـدك، غدا... لا... سأخبرك فداك نفسي... مع السلامة.

(تضـرب السـمـاعـة على الهـاتف، وهـي مـرهقـة ومتعبة)

الفـتـاة: لعنها الله... إنها لا تعرف كيف تنهي الكلام.

(صمت... تنتبه الفتاة إلى الهاتف ثانية.. وتطلب رقما آخر).

لا تعـرف... أن تتكلم بشكل منتظم (لآسـيـا) ألا تقولين ماذا أفعل؟

آســـيـــا: هدئي قليلا ، فلعلك تتذكرين.

الفـتـاة: أتذكر؟ ماذا أتذكر؟

آســـيـــا: إذن ماذا تريدين أن تفعلي؟

الفـتـاة: لا شـيء... ليس عنـدي عـمـل... اذهـبي أنـت إلى شأنك.

(تضـرب آسـيـا يدا بيـد، ثم تلاحظ أن وجـودها غيـر مـرغـوب فيـه فتـخـرج. تبـقـى الفـتـاة وراءهـا حـائرة... تغلق البـاب وتنفـجـر بـالبكاء... تـرمي الباروكة غاضبة، وترمي حقيبة يدها إلى إحدى زوايا الغـرفـة... تـنـزع عنها جـمـيـع أدوات الزينة،

وترتمي على الكرسي وتجلس... يقع بصرها على الهاتف، فتضرب رقما من غير انفعال... تنتظر... تعض شفتيها.. تحاول أن تكبت دموعها).

الفتاة: ألو... ألو... «هما... عزيزتي هما»... أحمد الله أني وجدتك... أكاد أموت..أجل يا «هما»... أنا مرهقة(تملأ الدموع عينيها)... هما كان مقررا أن أذهب إلى مكان ما... مكان جميل... مكان أحبه... كان علي أن أذهب (بكاء مع نشيج) كنت أعرف... لا أعرف إلى أين... أين؟ ما كنت أعلم منذ البدء... ماذا أفعل ياعزيزتي... ياعزيزتي «هما»؟ أين أذهب؟... أنا نفسي لم أعد أعلم شيئا... «هما»... أليس لديك أي خبر عن أي مكان؟ أما من مكان ينتظر ضيوفا؟... إلى من ألجأ؟

(تترك السماعة ، وترتمي على السرير، فتخنق صوت بكائها في الوسادة).

المسرحية الثانية:

«يد على يد»

شخوص المسرحية

- الأخ الكبير
- الأخ الصغير
- الجار
- الدكتور
- زوجة الأخ الصغير

المشهد الأول

(غرفة الجار: نافذة تطل على الشارع، وباب يفتح على الممر. سرير في زاوية الغرفة، وطاولة في الوسط مع عدة كراسي. يفتح الباب فيدخل الجار أولا، ثم زوجة الأخ الصغير، ثم الأخ الكبير. الجار شديد المجاملة للآخرين).

الجار: شرفوا الآن، ادخلوا، أرجوكم... البيت بيتكم (يبدو سعيدا) أرجوكم. (زوجة الأخ الصغير والأخ الكبير يدققان النظر في أرجاء الغرفة).

الجار: عذرا إن الغرفة مبعثرة الأثاث قليلا (يرتب سريره). ماذا أفعل؟ إنها حياة فقر.

الأخ الكبير: أليست هذه غرفته؟

الجار: كلا يا سيدي... إنها كوخي الحقير... تفضلوا... ما الفرق؟

الأخ الكبير: وأين غرفته هو؟

الجار: إنها بجوار غرفتي.

الأخ الكبير: أين هو إذن؟

الجار: في غرفته.

الأخ الكبير: نريد الذهاب إليه.

الجار: في غرفته طبيب الآن.

الأخ الكبير: أما زال احتمال الخطر موجودا؟

الجار: لا، أبدا، هذا الطبيب عالم نفس كذلك، يريد أن

يفهم الوضع النفسي للمريض تماما... لابد أنكم تدركون أن هذا النوع من المرضى...

الزوجة: (تجلس) لماذا لم تخبرنا في وقت مبكر؟ قلت إن الحادثة وقعت منذ ثلاثة أيام؟

الجار: أجل.. لقد بحثت مليا لعلي أجد أحد أصدقائه أو معارفه لأشرح له الموقف.. ولكن دون جدوى. وقصدت الطبيب أولا.. ثم اتصلت بدائرته.. وبعد ساعة قدم رئيس دائرته. كان رجلا لطيفا، أراد أن ينقله إلى المستشفى. ولكن لما كان الخطر قد زال عنه.. صرفه الطبيب عن ذلك.

الأخ الكبير: ولكن أيها السيد المحترم، أعتقد أن الأمر يتعلق بنا أكثر مما يتعلق برئيس دائرته.. فلماذا لم تخبرنا؟

(يجلس جلسة المستجوِب).

الجار: لماذ لم أخبركم؟ والله إني لا أعرف سيادتكم، ولا السيدة.. كما أنه لم يحدثني عنكم البتة.

الأخ الكبير: (متعجبا) لم يقل شيئا مطلقا؟ (ينظر إلى المرأة).

الجار: لابد من أنكم تعرفون أخلاقه.. هو أصلا لا يتحدث عن أي شيء.

الأخ الكبير: أجل.. مع الأسف. حسنا، فكيف عثرت علينا إذن؟ أهو نفسه قال لك أن ...؟

الجار: لا، لا، هو ليس عنده علم بذلك. لقد قمت بذلك من نفسي.. وانطلاقا من واجب الإنسانية.

الأخ الكبير: ها.. واجب الإنسانية! أُلهِمتم أنه قد يكون له أقرباء ومعارف.. وبعد.

الجار: اسمحوا لي أن أخبركم، أنه عندما وقع الحادث اضطررت إلى أن أفتش جيوبه..

الأخ الكبير: اضطررت أن تفتش جيوبه.. حسنا، وبعد ذلك؟

الجار: ماذا تخيلتم؟ لقد بحثت في جيوبه، فلعلي أجد معه عنوانا أو علامة ما.

الأخ الكبير: أعتقد أن التفتيش في حياة شخص في حال الموت لا يعد عملا سليما (صمت).. هل ما أذكره غير صحيح؟

الجار: (بارتباك) لم يكن لي هدف معين يا سيد.. كل ما قصدت إليه أن أعثر على عنوان، أو اسم، أو علامة..

الأخ الكبير: حسنا؟

الجار: كان مكتوبا في دفتره ثلاثة أرقام الهواتف فقط.. أحدها رقم هاتف دائرته. وأمام الرقمين الثاني والثالث كُتب «زوجتي وأخي».

الأخ الكبير: فما دمت وجدت الأرقام الثلاثة معا، فلماذا أخبرت دائرته أولا، ولم تتصل بنا وتخبرنا إلا بعد ثلاثة أيام؟

الجار: (بانزعاج تام) تعرفون، أن أول ما قمت به هو أنني أنقذت حياته، فقد خفت أن تقع مصيبة لا سمح الله، ثم بدأت مساعاي في تأمين الطبيب والدواء.

الأخ الكبير: هذا العمل الذي تفضلت به لا يحتاج إلى أكثر من ساعة واحدة، في حين أنه مضى حتى الآن ثلاثة أيام.. صحيح هذا أم لا؟

الجار: (خائفا) هذا صحيح.

الأخ الكبير: فكيف إذن لم تجد الفرصة لإعلامنا خلال هذه الأيام الثلاثة؟ أعتقد أن إخبارنا كان أهم من أي عمل آخر.. أم أنني أخطئ في كلامي؟

الجار: (يفقد أعصابه من شدة الغضب) اسمع يا سيد.. لقد اتصلت بهاتفكم خمسين مرة على الأقل.. وكانت امرأة عجوز ترفع السماعة دائما. وكنت كلما سألتها هل السيد موجود؟ كانت تسألني: أي سيد؟ وأنا ماكنت أعرف اسمكم، فأقول لها: سيد البيت. وكانت تسألني: ومن أنت؟ فأقول لها: أنا رجل غريب، فأنتم على أي حال لم تكونوا تعرفونني.. وفي النهاية.. وبعد عناء شديد أقنعتها أن تصغي إليّ.. وأفهمتها أن أخا السيد، يعني أخاكم، في وضع خطير. فشتمتني وقالت لي: السيد ليس له أخ، فلماذا تزعج الناس بلا سبب؟ ولنترك ما قالته العجوز جانبا، وعفوا.. وأعتذر جدا.. تذكرون جنابكم عندما حظيت بالاتصال بكم في نهاية الأمر، بأي لهجة أجبتموني؟

الأخ الكبير: الحق عليك يا عزيزي... كان عليك أن تتكلم بنحو لا يشعر أنك مزعج على الهاتف.

الجـــــار: برأيكم كيف كان عليَّ أن أخاطبكم؟

الأخ الكبـيـر: والله لا أدري مـاذا أقـول... فـأنا لا أسـتطيع أن أعلمكم طريقة الخطاب (ينظر الجار مبهوتا).

الـزوجـــة: حسنا.. وماذا عني أنا يا سيد؟

الجـــــار: وأنتِ أيضا يا سيدتي اتصلت بك كثيرا.

الـزوجـــة: متى؟

الجـــــار: في أوقـات مـخـتلفـة.. وكنت كلمـا اتصلت بك وجدت خطك مشغولا.

الـزوجـــة: ماذا؟ الخط مشغول؟

الجـــــار: نعم يا سيدتي.. من الصباح حتى المساء.

الـزوجـــة: كأنك تريد أن تقول إنني عاطلة عن العمل بحيث أتكلم من الصباح إلى المساء؟

الجـــــار: مـعـاذ الله.. أنا لم أقل ذلك.. هذا الأمـر لا يخـصني أصلا... ولكن صدقوني كل ما قلته كان عين الحقيقة.

الـزوجـــة: فكيف تمكنت من الاتصال بي في نهاية المطاف؟

الجـــــار: تعرفين جيدا متى اتصلت بك.. تقريبا الساعة الرابعة صباحا.

الأخ الكبـيـر: هذا الكلام كله لا جدوى منه.

الجـــــار: أنتم الذين تسألون يا سيدي.. فأنا في غنى عن هذا، ولا علاقة لي بهذا الموضوع.

الأخ الكبـيـر: حـــسنا.. دعنا من هذا (يتكلم ببطء وهدوء) أرجوك، إن كان ترك رسالة، ورقة، لا أدري ما أقول.. وصية.. أي شيء، فأعطني إياه.

الجـــــار: أنا لم أمد يدي إلى أشيائه مطلقا.. كل شيء بقي في مكانه، وفقط حتى لا أقع في أي مشكلة حول ماذا عنده وماذا ليس عنده.. فقد أخذت مجموعة مفاتيحه (يخرج من جيبه مجموعة مفاتيح).

الأخ الكبير: (نحو المرأة) إنه لم يمس أغراضه أصلا.. فقط أخذ مجموعة مفاتيحه.

(يضحكان كلاهما ضحكة خفيفة ساخرة).

الزوجـــة: لابد من أنه فعل ذلك من باب الإنسانية (المفاتيح لاتزال بيد الجار).

الأخ الكبير: (يمدّ يده) هاتها.

الجـــار: لك؟

الأخ الكبير: أجل.. لي.

الجـــار: لا حق لي في ذلك.

الأخ الكبير: لم أفهم... كيف يحق لك أن تحتفظ بها معك، في حين أنني وأنا أخوه... لا يحق لي أن آخذها منك؟

الجـــار: لا يُسمح لي بذلك.

الأخ الكبير: وهل أوصاك بألا تعطي مفاتيحه أحدا؟

الجـــار: كلا.. هو أصلا لا يعلم هذا.. ولكن عليَّ الحفاظ على واجب الجيرة.

الأخ الكبير: (بصوت عال) واجب ماذا؟

الجـــار: واجب الجيرة.

الأخ الكبير: وما نوع هذا الواجب أيضا؟ واجب الجيرة.. وهل اكتشف هذا أخيرا؟ فأنا لا أفهم شيئا.

الجـــــار: يا سيدي.. الإنسانية تفرض علي أنني عندما أرى..

الأخ الكبـيـر: أرجو ألا تمُنّ علي بإنسانيتك.. فأنا أخوه، وهذه السيدة زوجته.. فإن وجدنا نحن سقط عنك أي واجب.

الجـــــار: وكيف أطمئن؟ فأنا لا أعرفكما.

الأخ الكبـيـر: (وقد استشاط غضبا) إن هذا لمن السخرية.. وكيف للسيد أن يطمئن؟ ألست أنت نفسك اتصلت بي؟ كيف كنت مصدقا أخوّتي له، وتنكرها الآن؟ (بجد) فلعلي يجب أن أحضر الوثائق والمستندات الرسمية وشجرة العائلة لأثبت لك أني أخوه.. كيف.. هل آتيك بالوثائق الرسمية؟

الجـــــار: ولماذا؟

الأخ الكبـيـر: حتى يتأكد حضرة السيد ويطمئن قلبه.. ويعيد إلينا المفاتيح (معرِّضا) أم لعله لا يوافقك أن تكون المفاتيح في حوزة شخص آخر غيرك؟ هل الأمر كذلك؟

الجـــــار: (بانزعاج) ماذا تقصد؟

الأخ الكبـيـر: عندما تلح إلى هذا الحد، لي الحق في أن أشك فيك أيضا.

الجـــــار: أنت تتهمني وتفتري علي.. ماذا تتصور؟ تفضل.. ها هي ذي المفاتيح (يرمي بمجموعة المفاتيح نحو الأخ الكبير).

الأخ الكبـيـر: (يحاول الاحتفاظ ببرودة أعصابه) لا تتضايق، فهذه المفاتيح لا تنفعني ولا تنفعك (يضحك) ولا تنفعه هو أيضا.

الجـــــار: (غـاضـبـا) أمـا هـذا فـأمـر لا يعنيني.. كـان كل هدفي إنقاذ حيـاة شخص من الموت، وأرى الآن أنني أصبحت مدانا!

الأخ الكبـيـر: (باحتقار) ماذا؟ أنت أنقذت حياته؟ (ساخرا) إنقاذ!

الجـــــار: (منـفـعـلا) أجل.. ولو كنت تأخـرت بضع دقـائق لانتهى الأمر.

الأخ الكبـيـر: (بضحكة سخرية متجها نحو المرأة) أنقذه!

الجـــــار: (متعجبا) ألا تصدق؟ أتتصور أنني أخادع في الأمر؟

الأخ الكبـيـر: لا.. لا.. أنا لا أتصـور شـيـئـا.. بل إنني ممتن جدا.. لكنني أتعجب من حماستك للقضية أكثر من صاحب العلاقة نفسه!

الجـــــار: مـــاذا تريد أن تقـــول؟ أنا لـلآن لا أعـــرف اسم أخيك.. لم تتجاوز معرفتنا إلقاء التحية..

الأخ الكبـيـر: عجبا.. فلماذا.. إذن تتألم له إلى هذا الحد؟

الجـــــار: ومـاذا كنت تفـعل لو كنت مكاني ؟ شـخص كـان على شفا الموت، ثم حالفته المصادفة ليظل حيا.

الأخ الكبـيـر: نعم.. المصادفة دائما تساعد.. دائما. وكيف كان وضعه في نظرك؟

الجـــــار: كان شخصا مسكينا.. لم تكن عنده رغبة في أي شيء.. يخرج من منزله متأخرا صباحا ، ويعود في آخـر الليل.. وفـيـمـا بـعـد علمت أنه مـوظف حكومي . كنت أراه في بعض الأيام يغسل طبق البـيـض المقلي في المجلى ، والخـجل يبـدو على

ملامحه.. كان يبتسم ، ثم يلقي علي السلام بطرف شفتيه.

الأخ الكبير: ألم يزرك في غرفتك مطلقا؟ ألم يدعك ألى غرفته؟

الجـــــار: كلا.. مطلقا. يبدو أنه حين يعود يكون مرهقا.. حتى أنني لم أفكر في حصول هذا مطلقا، بل لم أنتظر منه مثل هذا الأمر. عشنا سنة كاملة متجاورين، الجدار على الجدار.. من غير أن يعلم أحدنا شيئا عن الآخر.. قد تعجب من هذا، لكنني تعودت على بعض تصرفاته.

الأخ الكبير: فعلى أي شيء تعودت مثلا؟

الجـــــار: كيف أقول لك؟ إنه صعب قليلا. فمن يحيا وحيدا يخترع لنفسه عادات... فمما أعرفه مثلا: جرس باب الجار، صوت بوق بائع الحليب، أو صوت جرار باب الدكان المقابل. ومن غير وعي منه يجد نفسه منتظرا هذه الأصوات.. لا تعجبوا، كنت دائما أتوقع صوت مفتاح باب غرفة أخيك بعد الساعة الواحدة، فإن تأخر مرة عن موعده قلقت عليه من دون مبرر. لكنه كان امرأ منتظما، فمثلا في الصباح - كلما أردت الذهاب إلى الدائرة - كنت أسمع صوت آلة الحلاقة مرتفعا من غرفته، وبالمصادفة... هذا الأمر نفسه هو الذي أدى إلى نجاته.

الأخ الكبير: وكيف؟

الجـــــار: كان هذا أيضا قد صار من عاداتي.. فعندما مررت من أمام غرفته ذلك اليوم لم أسمع صوت آلة الحلاقة. واتجهت نحو السلم. لكن الشك ساورني.. فعدت أدراجي، وأصخت سمعي عند الباب، فلم أسمع صوتا. فقلت في نفسي: لابد أنه نائم، غير أنه لم يسبق أن جرى هذا له منذ عام. فعدت ونظرت من خلال الزجاج الذي بأعلى الباب.. فرأيت حبلا معلقا بسقف الغرفة، فهرعت نحو الباب.

الأخ الكبير: حسنا.

الجـــــار: ومن حسن الحظ أن الباب كان مفتوحا.

الأخ الكبير: (بتفحص وتدقيق) كان الباب مفتوحا؟

الجـــــار: أجل.. فقد فتح الباب بمجرد أن دفعته دفعة خفيفة. (الأخ الكبير والزوجة ينظر أحدهما نحو الآخر).. وعندما دخلت وجدته قد شنق نفسه. بادئ الأمر اضطربت كثيرا.. وبدأت بالصياح وطلب النجدة.. وسرعان ما رقيت كرسيا، وحملته، وفككت عقدة الحبل من حول عنقه.

الأخ الكبير: وحدك؟

الجـــــار: كلا.. هرع الجيران إلى داخل الغرفة إثر صراخي.. وقد ساعدوني بدورهم. وعندما أنزلته، كان مازال يتنفس أنفاسا متقطعة.. لحسن الحظ كان حيا.

الأخ الكبير: حيا؟... وكيف كان حيا؟

الجار: كان حيا... (متعجبا) أكنت تريد أن يكون ميتا؟

الأخ الكبير: أعني أنه إذا كان قد شنق نفسه فكيف ظل حيا؟

الجار: لم يرد الله له أن يموت.

الأخ الكبير: أوه.. نعم.. لم يرد الله.. فقط هكذا! ألم يكن في الأمر شيء آخر؟

الجار: مثل ماذا؟

الأخ الكبير: مثلا أن الحبل كان رخوا.. أو أنه لم يُعقَد.. أو أي شيء آخر.

الجار: أجل.. حسن من حظه أن الحبل لم يلتف حول عنقه بشكل جيد.. وقدميه.. أعني.. رؤوس أصابعه كانت قد بلغت الأرض.

الأخ الكبير: (للزوجة) تعين ما يقول.. أليس كذلك؟

الزوجة: (ضاحكة) أجل..

الجار: ماذا تقصدان؟ (يتردد نظره بين الأخ والزوجة).

الأخ الكبير: غير مهم.. تابع كلامك.

الجار: لم يعد عندي كلام.. ولقد أنقذته.

الأخ الكبير: ثم ذهبت إلى الطبيب.

الجار: أجل.

الأخ الكبير: والمحبة الإنسانية.

الجار: هذا أمر يخصني وحدي.

الأخ الكبير: كلا.. لا يخصك أنت وحدك.

الجار: كيف؟

الأخ الكبير: أنت بنظرك أنقذته.. ولكن ألا تعلم أي مشكلة أوجدت للآخرين؟

الجار: للآخرين؟ من تقصد؟ أنتما أصلا لم تأتيا إلا بعد مضي عدة أيام.. وقد انتهى كل شيء الآن.

الأخ الكبير: نحن غير مهمّين يا حضرة السيد.

الجار: عن من تتكلم إذن؟

الأخ الكبير: عنه.. أنت أنقذته فقط بحسب الظاهر.

الجار: بحسب الظاهر؟

الأخ الكبير: أجل ياسيد.. لقد خُدعت طبعا. فهذا أمر لا يخصك، لأنه قضية عائلية.

الجار: أنا لست مصرا على أن أعرف.. ولا يعنيني شيء من هذا أصلا.

الأخ الكبير: نعم إدراك هذا عسير قليلا.. برأيك أنك أردت أن تنقذه، لكنك لم تدرك أن..

الجار: برأيك لو أني شددت عقدة الحبل على رقبته لكان أفضل... أليس كذلك؟

الأخ الكبير: أنت لا تدرك الأمور والأوضاع، فلا تفسر كلامي على هواك، ولو أن ذكر ذلك لا يخلو من فائدة، فلندع هذا جانبا. لا يمكن للإنسان أن يعرف ما يجري حوله (نافدا صبره). فهل بإمكانك أن ترجو الطبيب بالتوقف عن عمله؟

الجار: (غير مكترث) فلتقم بهذا بنفسك.

الأخ الكبير: (يشير إلى الزوجة) لا يؤذينك هذا يا عزيزتي.

على أي حال لا تتأسي من كلامي لأنه لا يعنيك (مستهزئا). العجب من هذه الدنيا الجميلة.. الحق أنها غدت مفعمة بالناس العطوفين.. كلهم لطيفون ... محسنون.. ناصحون ... شفيقون... من يصدق؟! (يتجه نحو الباب) كلهم منقذ.. كلهم إنسانيون (يشير إلى الجار، يفتح الباب. يخرج هو أولا، ثم تتبعه المرأة. الجار غضبان ومنزعج للغاية. يغلق الباب بشدة.. ويتفل خلفهما).

المشهد الثاني

(ممر يضم غرفة في كل طرف. مغسلة وزجاج شفاف. سلم يُرتقَى به إلى الطبقة العليا. رجل وامرأة يخرجان من غرفة الجار، ويتجهان نحو غرفة الأخ الصغير. يمسك الأخ الكبير الباب ويدفعه إلى الأمام. الباب مقفل من الداخل. يقرع قرعة خفيفة. صمت. يقرع قرعة أكبر. يفتح الباب. يبدو الطبيب بالباب، وينظر بحيرة. يخرج إلى الممر بعد أن يغلق الباب).

الدكتور: ماذا تريد؟

الأخ الكبير: لماذا أغلقت الباب؟

الدكتور: (يتفحص الرجل والمرأة) من أنتما؟

الأخ الكبير: جئنا لعيادته.

الدكتور: (ينظر إليهما بدقة) هل أنتما من ذويه؟

الأخ الكبير: (نفد صبره) أجل يا سيد، نحن من أقربائه، فأنا أخوه.

الدكتور: أوه.. سعيد جدا (ينظر إلى المرأة).

الأخ الكبير: وهل علي أن أعرِّف بها أيضا؟

الدكتور: (فوجئ) كلا.. كلا.. أرجوك. اسمح لي بدقيقة. (يدخل الغرفة. الباب مغلق نصف إغلاق. الرجل والمرأة يصغيان).

الأخ الكبير: يبدو أنه يختم نصائحه الطبية أو كلامه النفسي. عجبا من هؤلاء الناس المنهكين، لا جدوى منهم.

الدكتور: (يخرج بعد مدة وجيزة حاملا حقيبته وقبعته. يغلق الباب ويسحب الاثنين إلى إحدى الزوايا). لابد من أنكما اطلعتما على ما حدث.

الأخ الكبير: أي حادث؟

الدكتور: الحادث الذي وقع.

الأخ الكبير: هل تقصد انتحاره؟

الدكتور: أجل.. هو ذا.. والحمد لله أن الأمر مر على خير.. ولم يعد أي خطر يتهدده الآن.

الأخ الكبير: سلمكم الله.

الدكتور: شكرا.. أنا لم أفعل شيئا ذا أهمية.. ولحسن الحظ أصبحت معنوياته الآن أفضل كثيرا. لقد كنت في الأيام الماضية على اتصال منتظم به. حاولت كثيرا أن أفهم سبب تضايقه.

الأخ الكبير: حسنا.. وهل فهمت شيئا؟

الدكتور: ليس كما يجب.. تعلمون أنه ليس مستعدا لأن يتحدث عن حياته.

الأخ الكبير: (ضاحكا ويوجه نظره إلى المرأة) حسنا.. إنه يخجل.

الدكتور: أيمكنك أن توضح لي قليلا؟

الأخ الكبير: وماذا تريدني أن أفعل؟

الدكتور: أن تعطيني معلومات عن ماضيه وعن الأمور التي تزعجه.

الأخ الكبير: لماذا؟

الدكتور: حتى أستنبط العوامل ذات الدوافع إلى هذا الحدث.

الأخ الكبير: افترض أنك فهمت.. فما جدوى ذلك؟ ماذا تقدر أن تفعل له؟

الدكتور: تعلم... أن هذا... واجب الطب.

الأخ الكبير: حسنا جدا... حسنا جدا... فهمت... واجب الطب (نحو المرأة) نحن نحيا في الظلام، لا ندري السرعة التي تنتشر بها الواجبات الإنسانية! واجب الطب... واجب الجيرة... واجب الأخوة... واجب الزقوم.. واجب سم الثعبان.

الدكتور: أجل يا سيدي.. من أجل سم الزقوم هذا.. هل لي أن أرجوكما أمرا؟

الأخ الكبير: تفضل.

الدكتور: لا يجوز لكما أن تكلماه حول هذه المسألة.

الأخ الكبير: أي مسألة؟

الدكتور: الانتحار.. تظاهرا بأنكما لا تعرفان شيئا أصلا.. لابد لكما من مراعاة حاله.

الأخ الكبير: يعني لو أننا لم نتكلم فهل سينسى؟ (ساخرا) هل ستنتفي القضية؟

الدكتور: كلا.. ولكن الأفضل ألا تقولا له شيئا.

الأخ الكبير: وهل تتألم لحاله كثيرا؟ حسنا... وماذا بعد حالة التألم؟ ماذا فعلت له في هذه الأيام الثلاثة يا حضرة الطبيب؟ أتعتقد أنه يمكن تغيير إنسان بالنصيحة والموعظة؟

الدكتور: يبدو أنك متضايق جدا!

الأخ الكبير: مَمَ؟

الدكتور: من أنه لم يمت.

الأخ الكبير: ويبدو أنك غاية في السعادة من أنه حي يرزق، أليس كذلك. حسن، الأموات لا يدفعون أجر الطبيب، فأنتم لا تفكرون إلا بهذا (يشير إلى المال بحركة أصابعه).. إنه دكان مثمر، لكنني لست حمارا.

الدكتور: (يتراجع إلى الوراء قليلا قليلا وعلامات التعجب بادية عليه)

أنت.. أي نوع من البشر أنت؟

الأخ الكبير: أنا هكذا..

(يهز قبضته تحت ذقن الطبيب.. يتراجع الطبيب إلى الوراء. بينما يفتح الأخ باب الغرفة بعنف وغضب).

المشهد الثالث

(غرفة الأخ الصغير المجاورة تماما لغرفة الجار. لوازم الغرفة أقل حدا من الأشياء الضرورية لحياة شخص بمفرده.. خزانة وكرسي وسرير. يفتح الباب فيبدو رأس الأخ الكبير أولا، وبعده يبدو رأس المرأة من تحت إبطه. الأخ الصغير مستلق على السرير يلعب بخيط قد جعله تحت أسنانه.. ملامح الأخ الصغير تدل على سروره وراحته وقد رسمت نصف بسمة على وجهه).

الأخ الكبير: أتسمح؟ (يفاجأ الأخ الصغير برؤية الأخ الكبير.. ينظر إليه ولا يدري ماذا يفعل. ينظر الأخ الكبير إليه مبهوتا من الأعلى إلى الأسفل) سأله: هل يمكنني الدخول؟

الأخ الصغير: (متعجبا وخائفا) أنتما؟ (يدلف الأخ الكبير إلى منتصف الغرفة. يحاول الأخ الصغير النزول من سريره).

الأخ الكبير: لا تزعج نفسك.. لا تزعج نفسك.. لا تضايق نفسك من أجلنا (يحسن الأخ الصغير من وضعه على السرير، ويرتب أطراف ملاءة السرير. صمت).

حسنا، كيف حالك؟

الأخ الصغير: حي.

الأخ الكبير: (هازا رأسه) أرى ذلك (صمت.. عدة لحظات الكل فيها متردد).

الأخ الصغير: وكيف أنتما هنا؟

الأخ الكبير: أعجيب هذا؟

الأخ الصغير: طبعا.

الأخ الكبير: صحيح.. حقا إنه أمر يدعو إلى العجب.

الأخ الصغير: إذن.. جئتما.

الأخ الكبير: (يقطع كلامه ويقول مؤكدا) نعم جئنا.

الأخ الصغير: كيف؟

الأخ الكبير: الأمر بسيط جدا.. ركبنا سيارة الأجرة وقدمنا.

الأخ الصغير: وكيف عثرتما على مكاني؟

الأخ الكبير: ضاحكا) حسنا.. خلاصة الأمر أننا وجدناك.. وها أنت ذا ترانا هنا.

الأخ الصغير: (يلعب بالخيط الذي بيده.. يشير الأخ الكبير إلى المرأة أن تجلس) آها؟

الأخ الكبير: حسنا.. ماذا حصل؟

الأخ الصغير: ماذا؟

الأخ الكبير: أمريض أنت؟

الأخ الصغير: مريض؟ كلا.

الأخ الكبير: إذن... فلم أنت راقد؟

الأخ الصغير: هكذا.. بلا سبب (يحاول النهوض).

الأخ الكبير: كلا.. كلا.. ابقَ مستلقيا... خذ راحتك

(يسير في الغرفة) حسنا.. هكذا إذن... ليس بك من بأس؟

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: ما شاء الله.. تحسنت صحتك وامتلأ بدنك، ولم تعد عيناك زائغتين، تذهبان يمينا وشمالا.. واحمرت شفتاك. يبدو أن وضعك غدا على خير ما يرام. ولا بد من أن يحصل ذلك، بعد أن استرحت من شر السيئين والمزعجين، ووقعت على أناس جيدين ولطيفين (الأخ الصغير لا يجيب).. جار جيد.. رئيس جيد، طبيب جيد (يضحك) فهذا ما جرى.. حسنا.. حسنا جدا. (يقف فوق رأس الأخ الصغير) ارفع رأسك لأرى.

الأخ الصغير: لماذا؟

الأخ الكبير: (بحزم) أقول لك ارفع رأسك (يمسك بذقن الأخ الصغير ويرفع رأسه) فوق.. فوق أكثر (ينحني ويفحص جلد حنجرة أخيه الصغير بإصبعه) حسنا؟ (مستجوبا) ماذا فعلت؟

الأخ الصغير: ما الذي فعلته؟

الأخ الكبير: لا تتهرب.. قل الحقيقة.

الأخ الصغير: أنا لم أفعل شيئا.

الأخ الكبير: لم تفعل شيئا؟ ها؟ وهذا؟ (يلمس بإصبعه جلد حنجرة الأخ الصغير).. هذا.. أثر ماذا؟

الأخ الصغير: (خائفا) دعني.

الأخ الكبير: قلت أثر أي شيء هذا؟

الأخ الصغير: أثر.. لا شيء.

الأخ الكبير: لكنني أعرف (بصوت عال) هذا أثر الحبل (يبتعد غاضبا).

الأخ الصغير: (يضحك ضحكة مكتومة، ويغطي حنجرته) أثر الحبل؟

الأخ الكبير: أجل... أجل... (يمثل بيديه وضعية الشنق) حبل المشنقة لأجل الانتحار (يسيطر على أعصابه) انتحرت؟ (صمت) أجبني.. انتحرت أم لا؟

الأخ الصغير: أجل.. انتحرت.

الأخ الكبير: فلمَ لم تمت؟ إن كنت انتحرت فلماذا لم تمت؟ لماذا مازلت حيا؟

الزوجة: (مبتسمة) لابد من أنه كان انتحارا لمصلحة.

الأخ الكبير: نعم... كان لمصلحة.

الأخ الصغير: (متحيرا) أي مصلحة؟

الأخ الكبير: لا تدري؟.. ها؟.. أنت لا تدري؟

الأخ الصغير: لا أعلم ماذا تريد أن تقول؟

الأخ الكبير: أريد أن أقول إن عملك.. إن خداعك هو الآتي: كل أعمالك لغاية.. ذهابك لغاية.. مجيئك لغاية.. غضبك لغاية.. حياتك لغاية.. حتى انتحارك أخيرا كان لغاية.. كل ذلك للمصلحة.. للمصلحة.. وأنت بحيلك المصلحية هذه استطعت أن تحقق رغباتك وتسيّر أمورك.

الـزوجـــــة: دعه الآن.. فما جئنا لمخاصمته.

الأخ الكبـيـر: (يسيطر على أعصابه) صحيح.. نحن جئنا لعيادتك، ولم نأت لمخاصمتك (يبتسم لأخيه الصغير) أليس كذلك؟

الأخ الصغير: كلا.. ليس كذلك.

الأخ الكبـيـر: لماذا تعتقد أننا جئنا؟ أجئنا لنأخذ منك شيئا؟ أم ترانا قدمنا لنمتع أنظارنا بذقنك؟ ها..؟ ماذا تظن»؟

الأخ الصغير: أنتما إنما جئتما لتوبيخي.

الأخ الكبـيـر: توبيخ؟ أي توبيخ؟ أتظن نفسك مهما إلى هذه الدرجة؟

الأخ الصغير: كلا...

الأخ الكبـيـر: (مع نفسه) لتوبخاني، توبخاني! (للأخ الصغير) ليتك كنت تستحق ذلك.. إن كل شيء يحتاج إلى لياقة معينة... وأنت لم تعد لائقا لأي شيء.

الأخ الصغير: حسن جدا.

الأخ الكبـيـر: حسن جدا وسم قاتل (غاضب جدا) إنه ما يثير كل غضبي الآن (يحاكيه) حسن جدا.. فما هو المهم في نظرك؟

الأخ الصغير: لاشيء.

الأخ الكبـيـر: لاشيء؟ أجل، لا شيء. لكن دعني أقل لك: إن كل ما افتعلته لتجرنا إلى هنا كان حيلة.

الأخ الصغير: ولماذا أجرّكما إلى هنا؟

الأخ الكبير: يعني أنت لا تدري؟

الأخ الصغير: كلا.. لا أدري!

الأخ الكبير: (نحو الزوجة) ألا ترين كيف أنه يتجاهل؟.. كأنه لا يعلم أصلا.. يكيد كيده، ويحتال احتياله، ثم ينحاز جانبا! (نحو الأخ الصغير) غير أن احتيالاتك الآن لن تنطلي علينا.

الأخ الصغير: لا بأس.. دعها لا تنطلي.

الأخ الكبير: أجل لن تنطلي.. وهذا لا يؤثر فيك طبعا.

الزوجة: وما جدوى هذا الجدل؟

الأخ الكبير: أريد أن أفهمه أننا لسنا حميرا.. لاحظي هذا الأمر الذي لم أتوقعه.. انظري هل يبلغه فعل جني؟ أن يكتب في دفتره رقم هاتف الإدارة، وزوجتي، وأخي.. ثم بعد ذلك يتظاهر بالانتحار!.. حسنا.. ومن الواضح أن اتصالا هاتفيا يجب أن يحصل إلى هذه الأماكن الثلاثة.. وهكذا نعود إلى حيث بدأنا في القضية ذاتها.. مرة ثانية يشغلنا، ويرهق أعصابنا، ويسوّد ليلنا مع نهارنا.. تصوري ماذا حصل لنا في هاتين الساعتين أو الثلاث التي أخبرونا فيها!! الإنسان ليس حيوانا (نحو الأخ الصغير) غير أنك أسوأ من الحيوان (صمت).

أيبلغ التفكير بالإنسان أن يخطط للأذى إلى هذه الدرجة!.. الله أكبر! حبل ذو حلقة عريضة،

بالإضافة إلى أنه عوضا عن أن يربطها هنا (يشير إلى حنجرته) يربطها هنا (يشير إلى ذقنه). وقد يكون هناك احتمال لحدوث خطر.. فماذا يعمل؟ أمر غاية في البساطة...، نجعل الحبل طويلا بحيث تمس الأقدام الأرض، ثم إن الجار.. المنقذ.. المضحي.. يجب أن يتدخل في الأمر بنحو ما.. لأن السيد لا ينفذ عمله بشكل مباشر.. ولابد من أحمق يستخدم وسيلة.. حسن، ومَنْ أفضل من الجار؟ يجب جلب انتباهه بطريقة من الطرق.. يجب أن يعوَّد شيئا فشيئا على وضع معين (مفتخرا).. أترى أنني أعرف كل خططك شعرة بشعرة؟.. كل كيدك مفضوح عندي.

الأخ الصغير: جيد.

الأخ الكبير: (وقد هاج غضبه) بالضبط.. في الوقت الذي يمر فيه الجار من أمام بيته لا يصدر صوت آلة الحلاقة، وحسب حساب الفضولي جاره.. حسن، وطبعا.. يجب أن يكون باب الغرفة مفتوحا حتى لا يضيع كثير من الوقت.. ثم بالصراخ والاستنجاد يتم إنقاذ حضرة السيد (يتنفس الصعداء، ويبتسم) حسن.. ماذا تقول؟

الأخ الصغير: (عاجزا) كذب.

الأخ الكبير: ما هو الكذب؟

الأخ الصغير: لم يكن فيما فعلته أي خدعة أو حيلة.

الأخ الكبير: فلمَ لم تمت إذن؟

الأخ الصغير: من سوء الحظ.

الأخ الكبير: بل أنت لم ترد أن تموت.

الأخ الصغير: لماذا؟

الأخ الكبير: أردت أن تعود الأمور إلى مجاريها من جديد.

الأخ الصغير: لكي يحصل ماذا؟

الأخ الكبير: بما فيها هذه المرة.. كم مرة حاولت الإقدام على الانتحار؟

الأخ الصغير: هذا أمر يعنيني أنا.

الأخ الكبير: كلا.. إنه يعني الجميع.

الأخ الصغير: لا علاقة لي بأحد.

الأخ الكبير: أجل.. هذا في الظاهر.. لكنك تعلم أن الأمر غير ذلك.. فأنت لو استغنيت عن الدنيا كلها لما استطعت الاستغناء عنا.

الأخ الصغير: أنا الذي قطع كل علاقة بالناس.. وقبرت نفسي في العُقْر؟

الأخ الكبير: نعم.. في هذه الزاوية.. حتى يأتيك جار رحيم ويهتم بأمرك.

الأخ الصغير: كل هذه الحسابات أنت تصطنعها.

الأخ الكبير: أنا؟.. أكان ما قلته كذبا؟

الأخ الصغير: أي شيء؟

الأخ الكبير: عملك العظيم الأخير؟ هذا الانتحار المفتعل؟ أتريد أن تدعي بأنه لم يكن

مفتعلا؟ (صمت لحظات) منذ كم سنة وأنت تفكر بالانتحار؟.

الأخ الصغير: لا أعلم.

الأخ الكبير: (للمرأة) منذ كم سنة؟ أنت قولي.

الزوجة: والله لا أدري ماذا أقول؟ إنه هكذا منذ عرفته.

الأخ الكبير: (يمشي) لقد أرهقنا في تلك السنوات الماضية... كلها حزن.. كلها انطواء.. من كثرة ما دللوه، ومن كثرة ما أعزوه وأحبوه. كنا نجادل أبوينا ليلا ونهارا، ونطلب إليهما ألا يدللاه أكثر من الحد، ونقول لهما: أنتما لستما دائمين، وبعدكما لن يتحمل دلاله أحد. إلا أنهما لم يصغيا إلى كلامنا. وأين هما الآن؟ فليأتيا ليشاهدا بأم أعينهما ما آل إليه ابنهما المدلل المحبوب؟ وفي النهاية مات أبواه قهرا بسببه (نحو الأخ الصغير) وقد جاء دوري أليس كذلك؟ غير أنك هذه المرة أخطأت في حسابك.

الأخ الصغير: ماذا تريد أن تثبت بكلامك هذا؟

الأخ الكبير: أريد أن أثبت أن أعمالك كلها منذ البداية كانت حيلا.

الأخ الصغير: وكيف تريد إثبات ذلك؟

الأخ الكبير: (يجلس على حافة السرير) كيف؟ ها؟ (يخرج مجموعة المفاتيح من جيبه) بهذا الشيء أريد أن أثبت.. بهذا.

الأخ الصغير: (يبحث مرتبكا حوله) هذه مجموعة مفاتيحي.

الأخ الكبير: نعم.. إنها للسيد.

الأخ الصغير: ماذا تفعل بيدك؟

الأخ الكبير: أنا أكثر ثقة من الجار؟ أليس كذلك؟

الأخ الصغير: ماذا تريد أن تفعل بها؟

الأخ الكبير: (يلعب بالمفاتيح) لي شغل بها.

الأخ الصغير: أعطني إياها.

الأخ الكبير: لا تضطرب (يتجه نحو الخزانة) سأعطيك إياها في النهاية.

الأخ الصغير: (ينزل من على السرير) ماذا تريد أن تفعل؟

الأخ الكبير: (بغضب وحزم) اذهب واجلس في مكانك!

الأخ الصغير: لا يحق لك أن تفتش أغراضي.

الأخ الكبير: بلى؟ فمن سيكون له الحق أن يفعل ذلك غيري لو أنك متَّ؟

الأخ الصغير: ولكني لم أمت بعد.

الأخ الكبير: فلنفترض أنك مت.. ثم ماذا تظنني فاعلا؟ لا تخف. اذهب واجلس في مكانك.. هيا.. اذهب واجلس.. اذهب واجلس...

(يحدّق الأخ الكبير في الأخ الصغير.. يعود الصغير القهقرى، ويجلس على طرف السرير. يبدأ الأخ الكبير بفتح باب الخزانة).

الأخ الصغير: ربما كان في خزانتي ما لا أريد لأحد أن يطلع عليه.

الأخ الكبير: ليس في خزانتك ما تريد إخفاءه.. كل أشيائك في الخارج (يفتح باب الخزانة).. ليت الأمر لم يكن كذلك.. ليتك تحفظ بعض الأشياء.. على الأقل كنت تحافظ عليها لنفسك (يفتش الطبقة العليا من الخزانة) آها.. هذا.. (يبتسم ويخرج يده حاملة مسدسا) ما هذا؟.. مسدس؟.. مسدس صحيح؟ (يسحب مشط المسدس ويخرجه) ممتلئ أيضا.. أترى؟ هذا.. هذا (نحو المرأة) ضعيه على الطاولة.. (تضع المرأة المسدس بحذر على الطاولة. يدخل الأخ الكبير يده مرة ثانية في الخزانة).

الأخ الصغير: وماذا تريد بعد ذلك؟

الأخ الكبير: اصبر حتى تفهم (يخرج زجاجة أقراص وينظر إليها) ما هذه الزجاجة؟ أقراص (يحاول قراءة ما كتب على الزجاجة) ماذا كتب عليها؟ حتما ليس نصا أدبيا (يضحك) لابد من أنها حبوب منومة.. أجل «توفينال» أقراص الموت.. أقراص الانتحار.. طبعا. وهذا شيء ثان (يقذف بالزجاجة في الهواء، ثم يلتقطها ثانية، ويتجه نحو المرأة) تعالي.. ضعيها هناك.

تضع المرأة الزجاجة على الطاولة. ثم يدخل الأخ الكبير يده داخل الخزانة، ويخرج حزمة من الحبال).

الأخ الكبير: نعم... حبل... وأي حبل؟... جديد، جيد، قوي ومتين (يسحب الحبل ويفحصه) يكفي لعشرة أشخاص. (للأخ الصغير) ماذا تريد أن تفعل بهذا؟ لابد أنك تريد أن تصنع به أرجوحة، أو تلعب بالنط عليه... أو تصنع منه حبل غسيل لتنشر ثيابك... أليس كذلك؟ (الأخ الصغير لا يجيب)... لعلك اشتريته لجماله حتى تضعه على الرف كتمثال أو دمية (يضع الحبل على الرف) إنه مناسب للديكور.. كل هذه الأشياء ضرورة للتفنن... غطاء... أزرار أكمام.. دبوس ربطة العنق... مسدس... أقراص موت... ما الفرق؟ ألم يخلق الله الحبل للموت وأشياء أخرى؟ ها؟.

(يعطيه المرأة، فتضعه على الطاولة. يبحث الأخ الكبير في الخزانة مرة أخرى).

الأخ الصغير: لا يوجد شيء بعد ذلك.

الأخ الكبير: (باحثا) ومن أين نعلم؟ أأنت متأكد؟ (تفتش يده في الخزانة) ها هو ذا.. وجدته (يخرج سكينا) ما شاء الله.. ما شاء الله.. ما الذي يمكن فعله بهذه؟ (يفحص حد السكين بظفره) يمكن أن نقشر بها الخيار لصنع خيار باللبن.. وأن نقطع بها اللحم، وأن نقطع بها كل شيء سميك.. و.. (بحركة مفاجئة يشير بالسكين إلى حنجرته) وهذا ممكن أيضا (نحو الأخ الصغير) حسن.. كم عددها حتى الآن؟

الـزوجـــــة: هذا هو الشيء الرابع.

الأخ الكبـيـر: دعيه يذكر العدد بنفسه.. ها؟ (الأخ الصغير لا يجيب) الرابع يا سيدي.. الرابع (يضع السكين على الطاولة، ثم يبحث ثانية في الخزانة).

الـزوجـــــة: يكفي هذا أنهيا الأمر.

الأخ الكبـيـر: انتهى الأمر.. اصبري دقيقة فقط (يخرج صندوقا صغيرا) ما هذا؟ (يقلب الأشياء القديمة المختلفة الموجودة داخل الصندوق) كلها زجاجات.. علب من أنواع وأشكال المساحيق.. سموم مختلفة (لأخيه الصغير) وكيف حصلت على كل هذه الأشياء؟.. أوف.. علبة شفرات! جنابك تحلق لحيتك بالآلة الكهربائية.. وواضح قصدك من وضع «الشفرات» هنا (يفرغ الصندوق وسط الطاولة).

انظر.. انظر.. زجاجات عجيبة غريبة.. أدوية متنوعة ومختلفة.. بهذه الأشياء يمكن القضاء على سكان مدينة كاملة.. حسن. (صمت) هذه الأشياء جمعتها، أما قمم الجبال، البنايات الشاهقة، السيارات، وآلاف الأشياء الأخرى فلا يمكن جمعها داخل الخزانة.. لماذا جمعت هذه الأشياء؟ ها؟ لماذا؟ (صمت) كي تنتحر؟

الأخ الصغير: (غير مكترث) حسن؟

الأخ الكبير: ولكنك لم تفعل.

الأخ الصغير: ولماذا؟

الأخ الكبير: (بغضب وحزم) لأنك لم تنو فعلا.. كان كل ذلك تمثيلا.. لأن هذه الأمور تحتاج إلى جرأة، في حين أنك جبان، لا تملك جرأة، ولم تكن عندك أصلا.

الأخ الصغير: متأكد؟

الأخ الكبير: لو كان عندك جرأة لماذا نحيت المسدس والشفرات والسكين والسم وآلاف الوسائل الأخرى جانبا، وعلقت نفسك بالسقف بشكل مخادع؟ هل الانتحار بهذا أسهل. (يشير إلى المسدس) وأقوى وأكثر جدية؟ أم بـ.. (يرفع السكين) هذه؟ (يشير إلى الأشياء على الطاولة) أم بمشهد السخرية الذي افتعلته؟

الأخ الصغير: (ومضطربا) أنت لا تفهم.. لا أحد يفهم.. كيف أعبر لك؟ أنا أيضا إنسان، عندي أعصاب (لا يدري كيف يوضح كلامه) في ذلك الوقت لم يكن واحد من هذه الأشياء مجديا.. كل واحد منها.. كل واحد من هذه الأشياء كان يرافقه ما يخربه، يفتته.. في ذلك الظلام لم أكن أستطيع.. لو كنت مكاني لفهمت.. في ذلك الوقت لا يدري المرء ماذا يفعل.. قصارى رغبته أن ينتهي الأمر بأسرع ما يمكن.. لا يمكنه أن يحسب حساب أي شيء... يكون في حالة خاصة.. كيف أشرح لك؟

الزوجـــــة: (منزعجة) يكفي.. ما فائدة هذا الكلام؟ ليس هدفنا تعذيبه.

الأخ الكبير: صحيح.. لكنني أريد أن أصل إلى حل ما.. للمرة الأخيرة.. أقولها بجدية.. إما أن نبني وإما أن نهدم.. فأنا لا أحب الحلول الوسط مطلقا.. أريد اليوم أن أغلق ملف هذه القضية نهائيا (ينظر إلى الأخ الصغير مصمما) هل تسمع؟

الأخ الصغير: نعم.

الأخ الكبير: (بحالة ولحن مختلفين.. وبلطف مصطنع) لماذا تقوم بهذه الأفعال؟

الأخ الصغير: لا أدري.

الأخ الكبير: ماذا يقلقك؟... ها...؟ ما مشكلتك؟ أسألك صادقا.. ما الألم الذي تعانيه؟

الأخ الصغير: لا شيء.

الأخ الكبير: فما بك إذن؟

الأخ الصغير: لا أدري.

الأخ الكبير: فما الذي يدفعك إلى أن تكره الدنيا وأهلها جميعا؟ أتظن أنني عدوّك؟

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: أوتظن أنها عدوتك؟ (يشير إلى المرأة).

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: ألك عدو تعرفه؟ ها؟ أتخاف حقا من شيء أو من شخص؟

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: وكيف عن حياتك؟

الأخ الصغير: ها؟

الأخ الكبير: أفي حياتك ما لا تقدر على احتماله؟ أفكار تراودك وتؤذيك.

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: (ينظر حوله) أتحب الوحدة؟ مثلا، أتتخوف من أن تكون بين أفراد المجتمع؟ أم أنك تخاف من الأسرة؟ أو من الناس؟

الأخ الصغير: كلا... لا أخاف.

الأخ الكبير: ألا تستطيع أن تحتملهم؟

الأخ الصغير: بلى أستطيع.

الأخ الكبير: ونفسك.. كيف هي؟

الأخ الصغير: أستطيع أن أحتملها.

الأخ الكبير: وزوجتك؟

الأخ الصغير: (لا يجيب).

الأخ الكبير: ألم تكن تعشقها منذ سنوات طويلة؟ ألم تقل إنها الوحيدة التي يمكن أن تحببك في الحياة؟ أكنت تقول هذا أم لا؟

الأخ الصغير: كنت أقول.

الأخ الكبير: فهل برأيك أنني أسأت إذا لم أدعها تنفصل عنك؟ وتحملت كل أمور معاشها ونفقتها كل هذه المدة؟ (نحو المرأة) لا أريد أن أمنّ على أحد.. كان ذلك واجبي.

الأخ الصغير: كان هذا أفضل عمل قمت به في حياتك حتى الآن (يبتسم).

الأخ الكبير: فلماذا أنت هارب منها منذ سنتين؟ إن كنت فعلا غير قادر على تحملها فقل.

الأخ الصغير: لا ... أستطيع.

الأخ الكبير: هل تستطيع أن تحب الشمس، الورد، الحياة، بيتك، زوجتك، عملك أم لا؟ (مبتسما) انظر إنني أتكلم بلسانك، فلا تظن أنني لا أفهم شيئا.. أتستطيع أم لا؟

الأخ الصغير: أستطيع.. الشمس، الورد، الحياة، الطيور (يضحك).

الأخ الكبير: (يضحك ضحكا كاذبا) أنت يجب أن تبدأ من هنا (يشير إلى رأسه).

الأخ الصغير: كيف؟

الأخ الكبير: اعمل عملا يجعله يبدأ الحركة، يفهم، يرى، يسمع، يشعر، يحب.

الأخ الصغير: (بابتسام) لا أعلم.

الأخ الكبير: (بلطف) كلا.. بل تعلم.. أعني يجب أن تعلم.. فأنت أيضا إنسان عادي وطبيعي.. كالناس جميعا.. لا تظن نفسك مختلفا.. خلقا آخر. أنا وكل من يعرفك نعلم أنك إنسان عادي وطبيعي.. حسنا، لكل امرئ تصرفات خاصة. فقل لي الآن.. أأنت إنسان عادي أم لا؟

الأخ الصغير: ماذا؟

الأخ الكبير: إنسان عادي وطبيعي؟

الأخ الصغير: طبعا أنا كذلك.

الأخ الكبير: وماذا على الإنسان العادي أن يفعل؟

الأخ الصغير: والله لا أعرف.. لابد من أن يقوم بأعمال عديدة.

الأخ الكبير: (يضحك)، وكالمعلم الذي يستنتج من درسه وبحثه نتيجة ما على الإنسان العادي أن يحيا حياة عادية.. وهذا أمر مهم، أليس كذلك؟

الأخ الصغير: حتما.

الأخ الكبير: يحسن بهذا المرء الطبيعي أن ينظر أمامه، ويحيا حياته.. لا يغضب، ولا ينفعل، ولا يتألم لشيء.. يسر ويفرح بكل ما حوله، ويسعد به. يكون عنده الأمل، لا تنقشع البسمة عن فمه، يحضر حفلات الزفاف، ومجالس العزاء، والولائم، ويختلط بالناس، عليه أن يحسن تدبير أمور معاشه. أنا لا أقول بأن يكون انتهازيا، لكنه يجب أن يغتنم الفرص لمصلحته ولحياته. ماذا يفعل الآخرون؟.. أنا نفسي.. أنا نفسي.. أتظن أنني خالٍ من العواطف؟ معدوم الشعور؟ حين أخرج صباحا من منزلي أختلط بألف نوع من النا س حتى المساء.. علي أن أخاطب كل واحد بنحو معين، وأظهر لكل واحد منهم وجها. لا تظن أنني إنسان سيئ، لم أخدع أحدا.. فهذا من ضرورات

الحياة. إنه ليس من الصواب أن يبصق المرء على كل ما يكره، ففي كثير من الأحيان تضطر إلى أن تمتدح شيئا أو شخصا من غير برهان، أو تذمه بلا دليل... عندما يكون الناس جميعا هكذا.. إن لم تكن مثلهم أنت أيضا، فإن أمورك تتعرقل في مسيرتها.. لكل عمل فن يجمّله، والخلاصة أنه يجب أن يتدبر المرء حياته... أليس كذلك؟

الأخ الصغير: أجل هكذا.

الأخ الكبير: حسنا، فماذا تنتظر إذن؟ ما دمت أنت تفهم المسائل جيدا إلى هذا الحد وتتقبلها، فلماذا لا تشرع؟ انهض، وامش.. قف على قدميك.. قرر واعمل.

الأخ الصغير: يجب أن أفعل هذا تماما.

الأخ الكبير: ولن تعاني من هذا عناء كبيرا.. لا تفكر بالمسؤولية ونحوها، ولا تقلق بشأن زوجتك... إنها سوف تمارس حياتها حسبما ترغب.. كما أني سأغمض عيني.. وكما أشرفت عليها حتى الآن سأستمر على ذلك فيما بعد.. ألك شرط أفضل من هذا؟

الأخ الصغير: كلا.

الأخ الكبير: أراض أنت؟

الأخ الصغير: كثيرا.

الأخ الكبير: (منفعلا) ففي هذه الحالة سيتم الآن كل شيء.. فليأت جارك الحمار، وليتعلم معنى الإنقاذ.. ليس الإنقاذ في أن تنزل أحدا من على حبل المشنقة..

الإنقاذ هو أن تفهمه أن الدنيا دنيا.. هذا هو المهم.

الأخ الصغير: حتما.

الأخ الكبير: حسنا.. فعليك أن تبدأ منذ الآن.. ماذا تنتظر؟

الأخ الصغير: الآن؟ لاشيء.

الأخ الكبير: كلا.. إنما أقصد هل ستأتي معنا الآن أم فيما بعد؟

الأخ الصغير: سآتي.. سآتي.

الأخ الكبير: (مسرورا) إذن فقد حُلَّ كل شيء.. من اليوم ستبدأ حياة معتدلة، وجيدة، ومدروسة لنا جميعا.. لأجلك خاصة.

الزوجة: فلم لا تتحرك؟ ألا تريد أن تأتي؟ انهض.

الأخ الكبير: صحيح ما تقولين.. انهض وارتد ثيابك.. لا حاجة لأن تتزين هنا.. نذهب إلى المنزل، وهناك ستغتسل، وتتنظف، وتتأنق.. سنحضر دجاجة. ونعمل منها حساء، ونجلب باقة من الورد. وأيا كان الأمر، على أي حال، فإن هذا اليوم يوم صلح (ضاحكا) صلحك مع الحياة. ومع نفسك.

الزوجة: هيا.. أسرع.

الأخ الكبير: بلى يا عزيزي.. هيا انهض، فأمامنا ليلة سعيدة. سنخرج الآن، وننتظرك في الممر حتى ترتدي ثيابك وتأتي، موافق؟

الأخ الصغير: حسنا.

(يخرج الأخ الكبير والمرأة فرحين)

المشهد الرابع

(ممر، يفتح الباب. تبدو الزوجة أولا، ثم الأخ الكبير يدلفان إلى الممر.. يبدو عليهما السرور والفوز. يأخذ الأخ الكبير بساعد المرأة.. وعلى وجهيهما علامات النصر.. يقفان منتظرين)

الأخ الكبير: أرأيت كيف تمكنت في النهاية من أن أعقِّله؟

الزوجة: (تبتسم) نعم!

(صوت انطلاق رصاصة يصدر من الغرفة بصوت عال. فيجمدان في مكانهما وعلامات الرعب والهزيمة ترتسم على ملامحهما).

المسرحية الثالثة:

«طوبى للحلماء»

شخوص المسرحية

- امرأة عجوز
- رجل عجوز
- خادمة

المشهد الأول

(غرفة كبيرة تعد غرفة ضيوف، وغرفة نوم وغرفة جلوس لامرأة وزوجها العجوزين، ذات باب يؤدي إلى طريق السلم، وبابين في مقابل المتفرجين يربطان المطبخ والحمام والمغسلة بالغرفة. الغرفة قذرة وغير مرتبة، ستائر نافذتها غليظة القماش، لم تغسل منذ سنوات. سريران في طرفي الغرفة، وعلى كل واحد منهما لحاف غير مرتب.

مفروشات الغرفة الأساسية عبارة عن خزانة ملابس خالية ، أبوابها مفتوحة. طاولة في وسط المسرح، تحيط بها ثلاثة كراسي. الغرفة ممتلئة باللحف والقمصان والأشياء الوسخة الكثيرة التي لاتجدي نفعا. يبدو من باب المطبخ المفتوح تلّ من الأطباق الوسخة غير المغسولة. والحمام ممتلئ بالثياب غير المغسولة. مقابل قوائم سرير الرجل العجوز عدد من الكتب المبعثرة والموضوعة من غير ترتيب.

عندما ترفع الستارة يبدو الرجل العجوز(*) مرتديا ثياب المنزل غير المكوية، واضعا على رأسه قبعة

(*) يفضل وصف المرأة بالعجوز ، والرجل بالمسنّ أو الشيخ أو الهرم.

النوم القذرة، جالسا على كرسي، وواضعا نظارته على عينيه، وفي يده كتاب. غير أنه شارد عن صفحات الكتاب، يرفع نظارته من فوق أنفه، ويعلقها على جبينه، ويصغي إلى الجلبة التي تسمع من الأسفل. ينهض ويسير ببطء، ويفتح الباب المؤدي إلى السلم، ويصغي السمع حيث تصل إليه أصوات غير مفهومة لحديث بين امرأتين)...

(تنقطع الأصوات، فيعود الرجل العجوز على رؤوس أصابعه، ويجلس على كرسيه. وبعد مضي عدة لحظات يفتح الباب وتدخل امرأة عجوز... يعود الرجل العجوز وتبدو المرأة غاية في السعادة... وسعادتها هذه تؤثر في الرجل العجوز شيئا فشيئا).

الرجل العجوز: (ينهض) حسن... كيف حصل؟

المرأة العجوز: لقد تمَّ الأمر.

الرجل العجوز: تعنين أنها وافقت على البقاء؟

المرأة العجوز: أجل وافقت.

الرجل العجوز: (يضع الكتاب على الطاولة ويرفع نظارته) الحمدلله... الحمدلله.

المرأة العجوز: لكنها لا تستطيع البقاء ليلا، لأن لها زوجا وثلاثة أطفال، وعليها أن تعود لتدبر شؤونهم أيضا. فقررنا أن تعود إلى منزلها مساء، لتأتي نهارا

إلينا، وتقوم بجميع أعمال منزلنا، حيث تنظمه، وتغسل الأطباق، وتغسل الثياب، وتكوي، وتكنس المنزل كله، وتمسح الغبار... ستجعل منزلنا نظيفا مرتبا مشرقا جميلا كالورد، ثم تعود.

الرجل العجوز: (مسرورا) أتقولين ذلك حقا؟... ياالله... (فرحا منشرح الصدر)... الحمدلله... الحمدلله... وأين هي الآن؟

المرأة العجوز: في الأسفل تعدّ نفسها.

الرجل العجوز: (يدور حول نفسه وينظر حوله) يعني أننا سنتخلص من هذا الوضع؟

المرأة العجوز: بالطبع سنتخلص.

الرجل العجوز: وسيغدو كل مكان نظيفا؟

المرأة العجوز: نعم ولمَ لا؟

الرجل العجوز: وهذه القذارات ستزول؟ وتنجلي رائحة المطبخ العفنة؟

المرأة العجوز: حتما... حتما... ستزول.

الرجل العجوز: وماذا عن وضعي المزري؟... ووضعك أنتِ؟

المرأة العجوز: لو عطف علينا شخص ما فإنه سيهتم بنا... وبعد ذلك لن تكون هناك أي مشكلة.

الرجل العجوز: أقول... برأيك أي نوع من الأشخاص هي؟

المرأة العجوز: إنها - في رأيي - ممتازة، شبيهة جدا بأمها. وقد أخبرتك بأن أمها كانت تعمل في منزل

أختي الكبرى منذ سنوات عديدة... رحمها الله... امرأة نجيبة ومتواضعة ومؤمنة. لم يحدث أنها أساءت في عملها مرة واحدة في ذلك المنزل الكبير الواسع... لم يؤثر عنها أنها هربت من العمل، أو -لا سمح الله - سرقت... لم يصدر منها أي أمر من هذا مطلقا.

الرجل العجوز: حسنٌ... كانت أمها بنت ذلك الجيل والزمان... وهذه ابنة هذا الجيل والزمان... ولا نعلم إذا كانت ستسير على منوال أمها.

المرأة العجوز: كلا... ليس الأمر كذلك... إنها كثيرة الشبه بأمها... لقد رأيتها حين كانت طفلة... والآن ماشاء الله... ألف ما شاء الله... غدت امرأة كاملة... لعن الله الفقر والعوز، فقد أجبراها على العمل خادمة في هذا المنزل أو ذاك...

الرجل العجوز: (بصوت منخفض) ألا نحتاج إليها الآن، ونحن في هذا الوضع الذي ليس لنا فيه أحد، ولا نقدر على العمل؟

المرأة العجوز: بالطبع نحتاج إليها.

الرجل العجوز: لا تقولي إذن لعن الله الفقر.

المرأة العجوز: ليس همي الآن هذه الأمور... أرى لو أنها لمست منا بعض المحبة نحوها، فلن تبدو غير وفية - كسابقاتها - ولن تتخلى عنا بهذه السرعة.

الرجل العجوز: لا تتصرفي بشيء يدفعها إلى أن تتركنا وتذهب.

المرأة العجوز: أنا لا أتصرف أما أنت...؟

الرجل العجوز: أعني لا تكثري من تذمرك وشكواك منها.

المرأة العجوز: أنا لم أكن أظهر تذمري وشكواي من أي واحدة من خادماتنا في أي وقت من الأوقات... كل ما كنت أقوله لهن افعلن هذا، أو دعن هذا... كنت أنت الذي يثقل عليهن... أنسيت؟!

الرجل العجوز: أي مطالبات هي يا امرأة؟ كنت أنا أيضا أطالبهن بأن يفعلن هذا ولا يفعلن هذا... أم أن هناك شيئا آخر؟

المرأة العجوز: أبدا... كنت أحيانا تسيء الكلام كثيرا... أتذكر جيدا... كنت تنتقد إحداهن قائلا كم تأكل...! كم تسفّ من الطعام! كسولة تتهرب من العمل. وتنتقد الأخرى بأنها تأخذ مالا كثيرا، وكثيرا ما تنام... قذرة... يخرج أنفها شخيرا... تسحب نعليها على الأرض... تكثر من تظاهرها بالتعب... لا تدعك تقرأ كتابك.

الرجل العجوز: كنت أقول لك هذه الأمور... إنما أنتِ تواجهينهن بالكلام من ذلك ماهذا الغسيل للصحون؟ ماهذا الكنس؟ لماذا فعلتِ هذا هكذا؟ ولماذا فعلت ذلك كذلك؟ لقد أفسدتِ ترتيب أشيائنا... هكذا كنت تكررين شكواك كالمشعوذ الكثير الكلام... وفي نهاية الأمر كانت إحداهن تجابهك والأخرى

تتحملك... وآخر الأمر كن جميعا يعزفن عن العمل ويرحلن.

المرأة العجوز: وماذا كنت تريدني أن أفعل؟... لا أقول مثلا إن الصحون لم تنظف؟ وإن الثياب تمزقت؟ أو لماذا بعثرت الأغراض؟

الرجل العجوز: لا أقول لك لا تقولي هذا... لكنك رأيت بنفسك كيف أننا لم نستطع العثور على أي خادمة خلال تلك المدة.

المرأة العجوز: حسن.

الرجل العجوز: لا جدوى من قول «حسن»... أتستطيعين أن تقومي بالعمل؟

المرأة العجوز: لو كنت قادرة لما آلت حالنا إلى مانحن عليه... أنا لاأقدر على مسِّ الماء بسبب آلام الخاصرة والتهاب المفاصل.

الرجل العجوز: فأنت لا تستطيعين العمل... وأنا مثلك تماما... أقادر أنا على غسل الثياب؟ أغسل الأطباق؟... أكنس؟ كلا لا أستطيع... حين كنت صبيا لم أكن أحسن هذه الأمور، فكيف بي الآن في الوقت الذي لا أتنفس فيه إلا بشق النفس؟

المرأة العجوز: لم يقل لك أحد أن تعمل.

الرجل العجوز: أعلم هذا... إنما أعني شيئا آخر، أعني ألا نتصرف تصرفا يجعلنا نفقد هذه أيضا.

المرأة العجوز: وهذا ماكنت أنوي أن أقوله لك.

الرجل العجوز: حسنا جدا... فلا خلاف بيننا حول هذا الموضوع.

المرأة العجوز: أي خلاف؟

الرجل العجوز: أتدرين لو أنها تركتنا كيف تؤول أحوالنا وأوضاعنا المتردية بأي عسر وعناء سَنُبْتلى؟!

المرأة العجوز: طبعا... سنغدو أشقياء ومساكين بكل معنى الكلمة.

الرجل العجوز: برأيك... ماذا علينا أن نفعل حتى تتحملنا ويطول بقاؤها؟

المرأة العجوز: برأيي... (تفكر) ألا تواصل التذمر والشكوى.

الرجل العجوز: أنا أم أنت؟

المرأة العجوز: كلانا.

الرجل العجوز: ثم ماذا نفعل؟

المرأة العجوز: (تجلس) نعاملها بإحسان إلى أقصى حد نقدر عليه، نكرمها ونعزّها، ونحبها.

الرجل العجوز: وكيف يكون هذا؟

المرأة العجوز: لا أعلم كيف،.. نكلمها بمحبة... بأدب واحترام. نقول لها مثلا سلم الله يديك... وعافاك الله... منحك القوة... يحفظك الله... ويحفظ لك أولادك... وأمثال هذه العبارات.

الرجل العجوز: هذا الكلام كله لا يفيدها.

المرأة العجوز: إنه أفضل من أن نقول لها... يا ذليلة... ياكسولة... يا قليلة الفهم... لا أطال الله عمرك... أليس ذاك أفضل؟

الرجل العجوز: أجل... أفضل... لكن كل هذا الكلام لا جدوى منه، ولا قيمة له.

المرأة العجوز: فماذا نفعل نحن؟

الرجل العجوز: (مفكرا) أرى من الأفضل أن تعتني بإطعامها... حاولي ألا تكوني ضيقة العين عليها... أتفهمين؟

المرأة العجوز: حسنا... فهي إذا امتلأت بطنها عملت بشكل أفضل.

الرجل العجوز: أعطيها مقدارا من الفواكه، والشيكولاتة، والحلويات، وأطعمة مقوِّية وجيدة.

المرأة العجوز: كي تعمل جيدا... أليس كذلك؟

الرجل العجوز: أجل عصير الفواكه... أي شيء يجعلها قوية.

المرأة العجوز: و أنت أيضا لا تضن عليها بزيادة الأجرة... فهؤلاء الناس يهتمون بالأموال التي يأخذونها أكثر من أي شيء آخر.

الرجل العجوز: حسنا... وأنت بالمقابل كذلك... أتدرين ماذا عليك أن تفعلي؟ (ينظر حوله) أعطيها مقدارا من هذه الأشياء الصغيرة التي لا تنفعنا... ثيابا ممزقة... وأحذية قديمة لحافا لم يعد صالحا للاستعمال... ونحو ذلك مما هو غير مفيد.

المرأة العجوز: وهل أعطيها من ألبستك الإضافية ؟ من تلك الثياب التي لا تلبسها؟

الرجل العجوز: لا بأس... أعطيها... فإن لم تستفد منها هي، فإن زوجها سيستفيد منها حتما.

المرأة العجوز: وهكذا تفرح ولا تتركنا؟

الرجل العجوز: طبعا يجب ألا أن نشعرها بأنها غريبة.

المرأة العجوز: وحتى لا تتصور أنها خادمة البيت.

الرجل العجوز: لأن ذلك سيجرحها ويؤلمها.

المرأة العجوز: فتتمرَّد وتهجرنا... ولا تعود إلينا بعد ذلك.

الرجل العجوز: وأين هي الآن؟

المرأة العجوز: في الأسفل تعد نفسها.

الرجل العجوز: لقد تأخرت كثيرا (شاكا) أخشى أن تكون هربت فجاءة؟

المرأة العجوز: (خائفة) تهرب... إلى أين تهرب؟

الرجل العجوز: فلا تتأخري... أسرعي بالنزول وانظري أين صارت؟

المرأة العجوز: (تسرع نحو السلم وتفتح الباب... فتجمد في مكانها) أنت هنا؟!

الرجل العجوز: (مضطربا خلف المرأة... قائلا لها بصوت منخفض) بلطف... بلطف أكثر.

المرأة العجوز: (بصوت رفيق) لماذا أنت واقفة هنا ؟ هيا ادخلي... لماذا لا تدخلين؟

الخادمة: (تدخل وهي شديدة الخجل، مطرقة برأسها إلى أسفل) كنت أنتظر أن تناديني (تنتبه إلى وجود الرجل العجوز فتخاطبه بغاية من الأدب والاحترام) السلام عليكم.

الرجل العجوز: وعليك السلام ياسيدة. كيف حالك وأحوالك؟ أهلا وسهلا... أهلا وسهلا... المنزل منزلك... تفضلي... ماشاء الله... ماشاء الله... ماشاء الله (يمسك بيد الخادمة، ويقودها إلى الأمام... ويشير إلى الكرسي) .

المرأة العجوز: أجل ياعزيزتي... اجلسي دقيقة... استريحي لأحدثك ماذا تفعلين. وماذا لا تفعلين.

الخادمة: تفضلي ياسيدتي... أنا تحت أمرك.

الرجل العجوز: لا... لا يمكن... تفضلي (يُقعد الخادمة على الكرسي بالقوة)

المرأة العجوز: كما ترين جميع أغراضنا وأشيائنا محفوظة في هذه الغرفة... غرفنا الأخرى خالية... هنا نأكل وننام. وإذا قدم إلينا ضيف استقبلناه في هذه الغرفة.

الرجل العجوز: بالطبع إننا نفعل هذا لراحتنا (يضحك).

المرأة العجوز: والخلاصة أن عملك كله محصور في هذه الغرفة... هنا الحمام والمغسلة، وهذا هو المطبخ (تشير إلى الحمام والمطبخ).

الخادمة: (تنظر في أرجاء الغرفة) لا بأس يا سيدتي... سأسوِّي الأمور كلها على خير ما يرام.

المرأة العجوز: والآن ماذا تريدين أن تفعلي؟

الخادمة: أفعل كل ما تقولينه.

الرجل العجوز: (للمرأة العجوز) أرى قبل أن تبدأ بالعمل من الأفضل أن تعدي لها شيئا تأكله.

الخادمة: لقد تناولت طعام إفطاري لتوِّي ياسيدي.

الرجل العجوز: يعني أنت لست جائعة؟

الخادمة: كلا ياسيدي.

الرجل العجوز: ألا تشتهين أن تأكلي شيئا؟ (بوجه بشوش ضحوك)... مثلا شيئا لذيذا وجيدا ومقوّيا... شيئا ينشطك ويسعدك... مربى... شرابا... تفاحا... سكاكر... لا أعلم.

الخادمة: لكن... يا سيدي...

الرجل العجوز: ها... فأنت لا تحبين هذه الأشياء... حسن جدا (نحو المرأة العجوز) هيا... أسرعي وأحضري زجاجة حليب من الثلاجة. (تذهب المرأة العجوز مسرعة إلى المطبخ)

الخادمة: أنا لا أشرب الحليب يا سيدي.

الرجل العجوز: الحليب أفضل شيء... يقوي أكثر من غيره... أكان لسلامة البدن أو للصحة... إنه أفضل شيء.

المرأة العجوز: (تدخل) تعالي... تعالي... اشربي يا عزيزتي (الخادمة لا تتحرك)

الرجل العجوز: لا تقفي مكانك... إنها خجولة كما ترين... أنت ضعي الحليب أمام فمها.

المرأة العجوز: (تضع الزجاجة أمام فم الخادمة) اشربي يا عزيزتي، إنه جيدجدا... سوف يبعث فيك النشاط.

الرجل العجوز: (يساعد المرأة العجوز) اشربي... اشربي... بارك الله... بارك الله.

(تشرع الخادمة في شرب الحليب... وكان الحليب كلما نقص أشرق وجه كل من الرجل والمرأة... وازداد سرورهما).

المرأة العجوز: اشربي، اشربي، اشربي.

الرجل العجوز: ها... بارك الله فيك... لم يبقَ شيء... آها... اشربي... حسن. أحسنت... أحسنت (يأخذان الزجاجة من فم الخادمة).

المرأة العجوز: يمكنك الآن أن تباشري عملك.

الخادمة: ومن أين أبدأ؟

الرجل العجوز: أصغي إلى يا ابنتي... نحن أصلا لن نقول لك من أين تبدئين... أو مثلا أي عمل تقومين به... وأي عمل تدعينه... تعرفين... أنت يمكنك ألا تعملي أصلا.

الخادمة: ويلي...! لا أعمل... فماذا أعمل إذن؟

المرأة العجوز: يريد أن يقول إن هذا بيتك... ماذا يفعل المرء في بيته؟ إن أحب أن يعمل عمل، وإن فضل ألا يعمل لم يعمل.

الرجل العجوز: ليس عندك هنا سيد فوقك... أنا وهذه (يشير إلى المرأة) بمكان والديك (بمظهر عاطفي)... نحن نحبك كثيرا... أنت ولدنا... أنت ابنتنا.

المرأة العجوز: أرى أن تبدئي من هذه الغرفة... ما فائدة هذه

الأشياء الإضافية؟ (تغمز الرجل العجوز، المرأة العجوز في الأمام، الخادمة في الوسط، والرجل العجوز في الخلف... يمشون الواحد تلو الآخر)... انظري... انظري... كم من الملاءات المهترئة التي لا فائدة منها... كم من القمصان... والقمصان الداخلية الفائضة عن الحاجة... وي... وي... وي... يكاد المرء يختنق... ماذا نفعل بكل هذه الملاءات (تنتقي عدة ملاءات وتقول للخادمة) تعالي... تعالي... هذه لك.

الخادمة: (والملاءات فوق يديها) لي أنا؟

المرأة العجوز: أجل يا عزيزتي... إنها تنفعك... يمكنك أن تفعلي شيئا ما بها.

الرجل العجوز: هذه القمصان المفتوحة الرقبة لم أعد أرتديها... انظري إذا كانت تفيدها.

المرأة العجوز: (تنتقي عدة قمصان) ولماذا لا تفيدها؟ تفيدها حتما.

الخادمة: ولكن...

المرأة العجوز: وخذي هذه أيضا... فلم تعد تناسبني (تنتقي عدة قمصان وبلوزات).

الخادمة: ماذا أفعل بها؟

الرجل العجوز: إن أتعبك ما تحملين فادفعي لي بها أحفظها لك، أو ضعيها على ذلك السرير.

المرأة العجوز: تعالي... تعالي، خذي هذه أيضا.

الرجل العجوز: (ينحني برشاقة على الألبسة... تغدو حركات الرجل العجوز والمرأة العجوز أسرع... يضعان الألبسة، والقبعات، والأحذية، وكل ما تقع عليه أيديهما على ذراعي الخادمة بشكل مرتب) خذي هذا أيضا لزوجك.

المرأة العجوز: وهذا لك.

الرجل العجوز: وهذا لزوجك.

المرأة العجوز: لك.

الرجل العجوز: لولدك.

المرأة العجوز: لك.

الرجل العجوز: وهذا يمكنك أن تصنعي منه شيئا.

المرأة العجوز: ويمكنك من هذا أيضا.

الرجل العجوز: واصنعي لولدك قماطا.

المرأة العجوز: لأجلك، لزوجك، لولدك.

الرجل العجوز: لزوجك، لك، لولدك.

الخادمة: (بصوت مرتفع) سيدتي... سيدي.

المرأة العجوز: (تنتبه إلى نفسها) ها؟.. ماذا حصل؟

الرجل العجوز: تعبتِ؟

المرأة العجوز: ضعيها على السرير... ضعيها على السرير (يتجهان كلاهما إلى الأمام بسرعة، ويأخذان الألبسة التي تجمعت كالتل على ذراعي الخادمة، ويضعانها على السرير).

الرجل العجوز: اجلسي دقيقة... اجلسي دقيقة.

المرأة العجوز: يا للمصيبة... لمَ تبدين هكذا؟

الرجل العجوز: (وهو يحرك الهواء نحوها) هل أصبت بالغثيان؟

المرأة العجوز: لماذا غدا لون وجهك هكذا؟

الرجل العجوز: (ينظر نحو المرأة العجوز) لماذا أنت واقفة؟ أسرعي نحو المطبخ، وأحضري بعض التفاح (تخرج المرأة العجوز مسرعة)

الخادمة: (مندهشة) سيدي!

الرجل العجوز: ماذا جرى؟ أأصبت بالغثيان؟ حسنا... حسنا... سينتهي الأمر... افتحي فاك... تنفسي... تنفسي.

(يرفع كتابا من فوق الطاولة، ويشرع في هزه أمام الخادمة لجلب الهواء لها، تدخل المرأة العجوز الغرفة مسرعة، وبيديها عدة تفاحات كبيرة وسكين).

المرأة العجوز: ماذا حصل؟

الرجل العجوز: خير... قشري، قشري (تباشر المرأة العجوز بتقشير التفاحات)... أعطيني إياها... أعطيني إياها... أنت تعالي حركي الهواء لها... أراك متباطئة! (يبدأ الرجل العجوز بتقشير التفاحات، والمرأة العجوز تحرك الهواء للخادمة بسرعة وقوة).

المرأة العجوز: هل تحسنت حالك؟

الخـــادمـــة: أجل يا سيدتي.

الرجل العجوز: افتحي فاك.

المرأة العـجـوز: (تأخذ قطعة تفاح من الرجل العجوز) يا عزيزتي... افتحي فاك... افتحيه وكلي هذه.

الخـــادمـــة: أنا... أنا لا آكل يا سيدتي.

الرجل العجوز: أنت لا تدركين... افتحي فاك

المرأة العـجـوز: نعم... افتحي... افتحي .

الرجل العجوز: هيا... هيا بسرعة افتحي (يفتحان فم الخادمة كلاهما... الشيخ يقطع التفاحات بسرعة ، والعجوز تضعها في فم الخادمة).

المشهد الثاني

(بدلت الخادمة الشابة ملابسها، وعقدت صدرة فوق ثيابها، وربطت شعرها بمنديل وشمرت عن أكمامها وشغلت بالعمل).

(العجوز والشيخ جالسان على طرفي الطاولة، وقد امتلأ ما حولهما بزجاجات فارغة... قشر الفواكه... علب حلوى خالية. يمزج الرجل العجوز مح البيض بالحليب في كأس. والمرأة العجوز مشغولة بعصر الفاكهة).

(تبدو الغرفة خالية، فقد وضعوا أغلب الأثاث في عدد من الأكياس الكبيرة في جانب من الغرفة. والخادمة الشابة تغني بصوت خافت وهي تدخل من الحمام إلى الغرفة، وقد اختلف تصرفها تماما؛ فقد ذهب عنها خجلها، وغدت حركاتها جريئة جدا).

الخادمة: (تقف وسط الغرفة، ويداها على خاصرتيها) أقول لكما إن هذا الوضع الذي أراه هنا لا يمكن إصلاحه... وهذا المنزل غير قابل للنظافة مطلقا... منذ كم سنة لم تغسل هذه الملابس؟ لقد أصبحت جزءا من الوسخ نفسه. مهما حاولت فركها بالصابون وعصرها، فإن الماء لا ينفذ إليها أصلا...

كل عمل أقوم به لا نتيجة له... لا ماء ساخن، ولا ماء بارد... أرى أن تصرفوا النظر عن هذه الملابس جميعا (تتقدم وتجلس على الكرسي. المرأة العجوز تضع كأس عصير الفاكهة أمامها على الطاولة).

المرأة العجوز: نصرف النظر عنها؟ فماذا نفعل بها؟

الخادمة: لا أدري ماذا تفعلون بها... أعتقد أنكم يجب أن ترموها في البحر عاما كاملا حتى ينفذ فيها الماء (تشرب عصير الفاكهة وتضع الكأس على الطاولة).

الرجل العجوز: فكري لنا في حل آخر الآن.

الخادمة: المسألة لا تحل بالتفكير... إذ لو أنها تحل بالتفكير لانتهى أمرها منذ أول الصباح حتى الآن... كلما فكرت ماذا أفعل بها لم يجد عقلي لها حلا... تحتاج إلى سبعة أو ثمانية أجراء أقوياء ممن يعملون في صناعة اللباد كي يعصروها جيدا... وي... وي كيف تعيشون بها؟ كيف ترتدون تلك القذارات؟

الرجل العجوز: إنها ليست قذرة إلى هذا الحد الذي تذكرين.

الخادمة: ماذا؟ ليست وسخة؟ فأنا أكذب إذن؟ نعم؟

الرجل العجوز: كلا... لم أقل إنك تكذبين ولكن...

الخادمة: ليس هناك «ولكن» الخادمات السابقات كن يجدن التعامل معكما، كن يأتين ولا يفعلن شيئا

لكما... وهكذا تجمعت الأوساخ بعضها فوق بعض... وهكذا انتهيتما إلى هذه الحال.

المرأة العجوز: اذهبي الآن... وافركيها فركة أخرى.

الخادمة: كأنك تريدين أن تقولي إنني لم أفركها؟ نعم؟ فإن كان الأمر كذلك فلأنهض وأرحل (تنهض وتنطلق).

الرجل العجوز: (ينهض مضطربا، ويمسك بأهداب ثوب الخادمة) لاتتضايقي... لم يكن قصدها أنك لا تشتغلين جيدا... إنما كانت تقصد أن...

الخادمة: فلتقصد ما تريد... لكل امرئ شخصيته ومقامه.

المرأة العجوز: (مضطربة وخائفة) أنا لم أقل شيئا... فإن لم تريدي فركها فدعيها... ففسلها غير لازم أصلا... حسن؟

الرجل العجوز: (بلهجة هي غاية في اللطف والرفق) اجلسي الآن... اجلسي دقيقة لأرى... على أي حال هذه أمور عادية لا داعي لأن نتضايق بسببها... ها... بارك الله فيك يا بنيتي... تعالي... تعالي اجلسي (يجلس الخادمة)... ماذا تريدين أن تفعلي؟ أين تريدين أن تذهبي؟... إنني أمزج صفار البيض بالحليب من أجلك... اشربي... انظري هل صار جيدا أم ليس بعد؟ (يدفع الكأس إلى الخادمة).

الخادمة: (تتناول الكأس من يد الرجل العجوز وهي مقطبة الجبين، ينحني الرجل والمرأة وهما

ينظران إليها. تتناول الخادمة ملعقة من الحليب الممزوج مع صفار البيض بأداء فيه دلال، وتضعها في فمها... ثم تعيد الكأس الى الرجل العجوز).

الخادمة: سكرها قليل (تنهض وتقف... ينظر الرجل والمرأة نحوها مبهوتين).

الرجل العجوز: (متخوفا) لماذا نهضت؟

المرأة العجوز: (خائفة) أصاب في كلامه... لماذا نهضت؟ ماذا تريدين أن تفعلي؟

الخادمة: إنما أريد الذهاب لأقوم بأعمالي.

الرجل العجوز: (وهو يضيف السكر إلى الكأس) أي الأعمال؟

الخادمة: (تفكر وتقرر) سأصرف النظر عن الملابس.

الرجل العجوز: (مسرورا) تصرفين النظر؟... الحمد لله، الحمد لله.

المرأة العجوز: الحمد لله، الحمد لله.

الخادمة: (تفكر) و...

الرجل العجوز: حسنا؟

المرأة العجوز: وماذا؟

الخادمة: (وهي تجيل النظر حولها في الغرفة)... وإيجاد حل نهائي.

الرجل العَجوز: حل نهائي؟

المرأة العجوز: حل نهائي لأي شيء؟

الخادمة: (تشير إلى جميع الأماكن بيدها) بالإمكان تنظيف جميع هذه الأماكن تنظيفا كاملا.

المرأة العجوز: (متخوفة ووجهها نحو الرجل العجوز) تنظيفها... يعني ماذا نفعل بها؟

الرجل العجوز: (مندهشا) لا أدري.

الخادمة: يعني أن ننظفها تنظيفا كاملا.

المرأة العجوز: (للرجل العجوز) تنظيف كامل؟

الخادمة: (وهي تدور في الغرفة) بادئ ذي بدء يجب أن نعلم من أين تفوح رائحة النتانة هذه!

الرجل العجوز: رائحة نتانة!!

الخادمة: أجل... رائحة نتانة... أولا تشمان؟ (يشم الرجل والمرأة... وينظر الواحد منهما نحو الآخر)

المرأة العجوز: أنا لا أفهم (للرجل العجوز) وأنت كيف؟

الرجل العجوز: (يشم) وأنا أيضا لا أفهم شيئا.

الخادمة: بالطبع... لكثرة ما عشتما بين الأوساخ غدا الأمر عاديا بالنسبة إليكما (وهي تطوف في أرجاء الغرفة) لا بد لنا من أن ندرك مبعثها.

الرجل العجوز: إن كان الأمر يتعلق بالرائحة النتنة فهي منبعثة من كل مكان.

الخادمة: كلا... إن الرائحة النتنة لا تأتي من كل مكان... إنما تأتي من مكان محدد... لا بد لنا من أن نعرف مصدرها (تطوف حول الغرفة وهي تشم، فتدنو من سرير الرجل العجوز... فتشم عدة مرات) أف... أف... أف... وي... وي. ألم أقل؟

(تمسك أنفها، وتهز رأسها. وتدنو من سرير المرأة العجوز وتشم) وي... وي... وي... أف... أف... هنا أسوأ من هناك... أنا منذ البداية أحس بالغثيان... وأكاد أتقيأ... هذه الأشياء هي التي أوصلت المنزل إلى هذا الوضع المزري (تبدي تذمرها، وتظهر شكواها بينما تجمع كل ما على السريرين... وتأخذه إلى الأكياس الموضوعة قرب الباب)... هذه الأشياء لا تنفع مطلقا... ولا يستفيد أحد منها... يجب حرقها.

الرجل العجوز: حرقها؟

الخادمة: أجل... وهذا ما علينا فعله فقط.

المرأة العجوز: فعلى أي شيء ننام؟

الخادمة: على أي شيء آخر.

المرأة العجوز: على أي شيء مثلا؟

الخادمة: لا أدري... إنما على هذه الأشياء غير ممكن... أنتما إن أردتما النظافة الكاملة والتامة فعليكما أن تغضا النظر عن تلك الأشياء، وأن ترميا بها بعيدا.

المرأة العجوز: (بصوت منخفض للرجل العجوز) نرميها بعيدا؟

الخادمة: (بإصرار وعزم) نعم... ترميانها بعيدا.

الرجل العجوز: حسنا... حسنا... نرميها بعيدا.

الخادمة: (وهي تسير) نعم... وماذا بعد يجب رميه بعيدا؟ لابد لنا من أن نقوم بعمل ننتهي به من هذه

الرائحة النتنة، لتحل مكانها رائحة نقية في هذه الغرفة... تدخل الشمس وتقتل الجراثيم... انظر... يارب... ما هذه الستائر السميكة الضخمة المنقوشة (تمسك بستائر النافذة وتحاول خلعها من مكانها).

المرأة العجوز: وي... وي... وي... ماذا تفعلين؟

الرجل العجوز: لا تلمسي تلك الستائر.

الخادمة: (تنزع الستائر من مكانها) وي، وي، وي... أي قذارة هي هذه!! (تقذف بالستائر إلى الأكياس) دعا الشمس تدخل إلى الغرفة... انظرا كيف غدا الوضع جيدا... (تنظر إلى النافذة العادية بسرور) يشعر المرء أنه غاية في السرور.

المرأة العجوز: نزعتِ تلك الستائر... فماذا نضع مكانها؟

الخادمة: شيئا آخر.

المرأة العجوز: ليس عندنا.

الخادمة: إن كان ليس عندكما... فلا تعلقا.

المرأة العجوز: نصبح على مرأى الآخرين.

الخادمة: إلى ماذا ينظر الآخرون؟

المرأة العجوز: إلينا... إلى أثاثنا... كل شيء.

الخادمة: فلينظروا... ماذا يمنع؟

المرأة العجوز: لكنه سيئ...

الخادمة: ماهو السيئ؟... لم تعودا شابين ليقف الآخرون ويتفرجوا عليكما وعلى أثاثكما... إن من يشاهد

وضعكما سيشيح بوجهه ويعبر. في حين أن النوافذ إذا كانت عادية ولا ستائر عليها، فإن الضوء والنور سيحلان في مقابل ذلك... ستشرق أسارير المرء، وتدخل الشمس قليلا. أصلا أنا لا أفهم لماذا أنتما تكرهان النظافة؟

الرجل العجوز: حسن جدا... حسن جدا (يشير إلى المرأة بعينه وحركة من حاجبه أن تدع الخادمة ولا تعارضها).

المرأة العجوز: حسن ما دمت تريدين النظافة فليكن.

الخادمة: (للعجوز) أنتَ عوضا عن هذا الكلام الكثير، قم بخلط الحليب في الكأس (تشير إلى الكأس فيلتقطه الرجل ويشغل بالخلط ثم تتجه الخادمة نحو المرأة العجوز) وأنتِ أيضا أراك جالسة تتفرجين عليَّ.

المرأة العجوز: فماذا أفعل إذن؟

الخادمة: (وهي تتجول في الغرفة، تجمع كل ماتقع يدها عليه) أتجيدين صنع القهوة؟

المرأة العجوز: قهوة جيدة؟

الخادمة: نعم... نعم... قهوة جيدة.

المرأة العجوز: كلا... لا أعرف.

الخادمة: لا تعرفين؟ لماذا لا تعرفين؟

المرأة العجوز: لا أعرف... وكفى.

الخادمة: ليس صعبا... أولا تسكبين ملعقتي شاي من البنّ في الغلاية، ثم تضيفين إليهما فنجانا من الماء،

ثم تضعين السكر... لا أكثر ولا أقل. وبعد ذلك تحركين الخليط، وتضعينه على النار. المهم أن تكوني يقظة لئلا تفور... أفهمتِ؟

المرأة العجوز: أجل فهمت.

الخادمة: فلمَ أنت جالسة؟... هيا انهضي وباشري عملك... انتبهي لئلا تفور.

(تخرج المرأة العجوز، وتضع الخادمة كل ما على ساعديها بجوار الأكياس... تتقدم وتجلس إلى الطاولة).

الرجل العجوز: (يقدم الكأس إلى الخادمة) تفضلي (تشرع الخادمة في تناول الحليب الممزوج بصفار البيض).

الخادمة: جيد...

الرجل العجوز: هل أعجبك؟

الخادمة: لا بأس (تضع الكأس على الطاولة لتنهض، وفجأة تنتبه إلى حالة الرجل ووضعه) ماهذه الأشياء التي ترتديها؟ ألا تتزعج منها؟ ألا تقرف منها؟ ألا تتقيأ؟ يا للعجب أي أناس أنتما؟ (تنتزع قبعة الرجل العجوز) انظر... انظر بالله عليك... من يرتضي أن يضع هذه القذارة على رأسه؟ كلها دهن ووسخ... أوف... أوف.

الرجل العجوز: دعيها... فأنا معتاد عليها.

الخادمة: ماذا يعني معتاد عليها؟ علي أن أنظف كل شيء (ترمي القبعة فوق تلة الأشياء).

الرجل العجوز: أنا لا أقدر على الجلوس من غير قبعة.

الخـــادمـــة: لا بأس... سيعتاد رأسك ذلك... يا إلهي...! منذ متى لبست هذا القميص؟

الرجل العجوز: لا أدري... لست أذكر.

الخـــادمـــة: كيف لا تختنق؟ أن تجلس عاريا أفضلُ كثيرا من أن ترتدي هذا... هيا قم واخلعه.

الرجل العجوز: ليس عندي قميص نظيف!...

الخـــادمـــة: هيا اخلعه... يالله انهض واخلعه (تأخذ بكتفي الرجل وتنهضه وتحاول خلع قميصه).

الرجل العجوز: دعيني... دعيني...

الخـــادمـــة: هيا اخلعه.

الرجل العجوز: ولكن... لا يمكن أن أصبح عاريا.

الخـــادمـــة: يمكن يا عزيزي... يمكن...

الرجل العجوز: أخجل... أخجل.

الخـــادمـــة: (وهي تنزع عنه القميص) من أي شيء؟ ممَّ تخجل؟

الرجل العجوز: من جسمي وبدني العاري.

الخـــادمـــة: أهذا يستحق الخجل أكثر (تشير إلى القميص) أم ذلك البدن والجسم العاري؟ (تقذف بالقميص على الأكياس).

المرأة العجوز: (تظهر المرأة العجوز بباب المطبخ، وهي تحمل صينية القهوة) عجبا... لماذا هكذا؟

الخـــادمـــة: (نحو المرأة) هل صنعتها؟

المرأة العجوز: (للرجل) لماذا تعرَّيتَ؟

الخادمة: (تدنو، وترفع الفنجان وتشمه) هذه القهوة فاسدة.

المرأة العجوز: (للرجل العجوز) لماذا لا تجيب؟ لماذا تعريت؟

الرجل العجوز: (يشير بحركة عينيه وحاجبيه).

المرأة العجوز: ألا تتكلم؟!.

الرجل العجوز: لا شيء ... أريد أن أغدو نظيفا.

الخادمة: (تتناول رشفة من القهوة) وي... وي... وي... أهذه قهوة أم ماء أسود؟

المرأة العجوز: لقد صنعتها كما قلت تماما.

الخادمة: حسن جدا... أعطيني هذه الأشياء الآن (تأخذ الصينية من يد المرأة العجوز، وتضعها على تلة الأشياء... وتتقدم نحو المرأة العجوز بوجه مهدد)... هيا اخلعي هذه الملابس القذرة... بسرعة... بسرعة. (تمسك بقميص المرأة وتحاول انتزاعه عن بدنها بعنف).

المشهد الثالث

(تبدو الغرفة خالية، لم يبق فيها غير سريرين معدنيين في طرفي الغرفة، وكيس ممتلئ عند الباب، ولوحة معلقة على الجدار المقابل. يرتدي الرجل العجوز سروالا قصيرا قديما، والمرأة العجوز ترتدي قميص نوم مهترئا، وكل واحد منهما يجلس القرفصاء على سريره.

يُسمع صوت الخادمة الشابة وجلبتها من طرف السلم، وهي تعطي شخصا أمرا) .

الخادمة: (تدخل) لم يبق شيء... خذ هذا أيضا إلى تحت... وأنا قادمة الآن (تسحب الكيس نحو الباب، تمتد يدا رجل، وتخرج الكيس من الغرفة. تتقدم الخادمة نحو وسط الغرفة، وهي تهتز بدلال، وتقف أمام الرجل العجوز والمرأة العجوز).

حسنا جدا... ها قد وصلنا إلى شيء جيد في النهاية.

(تنظر نحو الجدران والسقف وباب الغرفة) لقد غدت الغرفة الآن مقبولة، إذا نظر المرء إليها ينشرح صدره... كنتما غاية في القذارة... متى آتي إليكما؟

الرجل العجوز: سنعلمك.

الخادمة: حسنا جدا... أستودعكما الله الآن...

أستودعكما الله (تسير لتخرج، وإذا بها تشاهد اللوحة على الجدار، فتنتزعها وتحملها معها).

الرجل العجوز: سلَّم الله يديك.

المسرحية الرابعة:
«رسالة المرأة العالمة»

شخوص المسرحية

- الرجل الأول
- الرجل الثاني
- المرأة الأولى
- المرأة الثانية
- المرأة الثالثة

(صحراء وشجرة نخل. يدخل رجل فيدنو من النخلة ويتوقف عندها، لا يدري إلي أين يذهب.. يبدو عليه التعب واليأس، بعد أن لفحته الحرارة الشديدة. يجلس في ظل النخلة، ويجيل نظره فيما حوله. ثم يخرج مزمارا من تحت ثيابه، ويعزف عليه بهدوء.. ومن دون وعي. يتوقف عن العزف لحظات.. ثم يعود إلى عزفه. يدخل رجل آخر يحمل كيسا على ظهره فيه أمتعته. يتوقف الرجل الأول عن العزف)(*).

الرجل الثاني: السلام عليكم.

الرجل الأول: (ينهض) وعليكم السلام... عليكم السلام.

الرجل الثاني: ألم أعطلك عن عملك؟

الرجل الأول: كلا يا أخي... لا عمل لي.

الرجل الثاني: كساد؟

الرجل الأول: أجل يا أخي... كساد (صمت) أجئت من الشط الثاني للنهر؟

الرجل الثاني: ماذا أفعل؟... أذهب وأعود، ثم آخذ وأُحضر.

الرجل الأول: فهنيئا لك سعادتك.

الرجل الثاني: منذ حين لم أرك!... أين كنت؟

الرجل الأول: كنت مشغولا يا أخي... كنت مشغولا.

الرجل الثاني: وهل انتهى انشغالك؟

(*) تصرّف المترجم قليلا في أسماء الممثلين والمواقع بما يناسب القارئ العربي.

الرجل الأول: كلا... بل غدا الأمر أسوأ من ذي قبل.

الرجل الثاني: أراك متضايقا!

الرجل الأول: بل متضايق ومغموم وقلق.

الرجل الثاني: (هل تعرضت لمشكلة؟ هل أُصيب بمكروه)؟

الرجل الأول: ما كان سيقع لي أسوأ مما وقع.

الرجل الثاني: أخبرني... لعلي أجد لك حلا.

(يجلس الاثنان القرفصاء)

الرجل الأول: حلُّها هو الشقاء.. مهما حاولت فلن أصل إلى نتيجة... وهأنذا مضطر للعودة إلى الطرف الثاني من النهر بخفَّي حُنين..

الرجل الثاني: ولأي أمر جئت هذه المرة؟

الرجل الأول: جئت أبحث عن شيء يحتاج الحصول عليه إلى بحث طويل وتعب كثير.. ولا تعلم في خاتمة المطاف أتجده أم لا؟

الرجل الثاني: أتبحث عن العنقاء؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: عن نبع ماء الحياة؟

الرجل الأول: كلا

الرجل الثاني: عن الكيمياء؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: فما هو إذن؟

الرجل الأول: عن امرأة.

الرجل الثاني: (محتاراً) عن امرأة؟ (يضحك) ما أكثر

النساء!... وتريدها لنفسك؟

الرجل الأول: كلا يا أخي... أريدها لأميرنا.

الرجل الثاني: مرة أخرى؟

الرجل الأول: أجل.. مرة أخرى.

الرجل الثاني: ولم تجد؟ ألم تُحضر معك شبكة وحبلا ومزمارا وسوطا؟

الرجل الأول: بلى أحضرت (يريه ما ذكره كله)... ولم يُفدني أيٌّ منها بشيء.

الرجل الثاني: وكيف؟

الرجل الأول: لقد أراد أميرنا هذه المرة امرأة لا تُجدي معها هذه الأشياء.

الرجل الثاني: فإن كان الأمر على ما تقول.. ففكر في حل آخر.

الرجل الأول: لا جدوى من ذلك.

الرجل الثاني: وكم ريالا(*) يدفع من أجل العثور على امرأة؟

الرجل الأول: يدفع عشرة ألاف ريال هبة.

الرجل الثاني: (متعجبا) عشرة آلاف ريال؟ فالأمر يستحق البحث.

فقل لي.. أيريدها ابنة أمير؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: فبيضاء بُلغارية؟

الرجل الأول: كلا.

(*) الريال: عملة إيرانية

الرجل الثاني: تركية تترية؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: سوداء زنجية؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: ذات قامة طويلة؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: متوسطة الطول هيفاء؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: عبلاء؟

الرجل الأول: كلا.

الرجل الثاني: ممشوقة القوام؟

الرجل الأول: كلا

الرجل الثاني: فتاة يافعة؟ ذات عينين كعيني الظبي؟ قامتها أشبه بشجرة السَّرو؟ مغنية؟ حلوة الحديث؟

الرجل الأول: كلا... كلا... كلا.

الرجل الثاني: فما هي إذن؟

الرجل الأول: يريد الأمير سيدة عالمة... سيدة عالمة.

الرجل الثاني: سيدة عالمة؟ وكيف تكون هذه السيدة؟ ما علاماتها؟

الرجل الأول: ليس لها علامة مميزة.

الرجل الثاني: وأين يمكنك أن تجدها؟

الرجل الأول: في كل مكان... وليس في أي مكان.

الرجل الثاني: فماذا قال الأمير؟

الرجل الأول: قال إن المرأة العالمة لا تخاف.

الرجل الثاني: لا تخاف ممَّ؟

الرجل الأول: لا تخاف من أي شيء. قال الأمير إن المرأة العالمة لا تُحوج إلى الشبكة والحبل.

الرجل الثاني: وماذا قال أيضا؟

الرجل الأول: قال الأمير إن المرأة العالمة لا يخدعها صوت المزمار.

الرجل الثاني: فكيف يمكن نقلها إلى أميركم؟

الرجل الأول: قال الأمير إن السيدة العالمة تأتي إليه بنفسها.

الرجل الثاني: الله أكبر... ليت الأمير أرسلك لصيد اللؤلؤ في قاع البحر في أعصب الأيام، ولم يرسلك خلف مثل هذه المرأة.

الرجل الأول: ولهذا فإنني مهما بحثتُ فلن أعثر علي شيء.

الرجل الثاني: وماذا ينفع الأمير مثلُ هذه المرأة؟

الرجل الأول: كل النساء اللواتي اختبرهن الأمير وجالسهنَّ كنَّ أسيرات الخوف والجهل... وإن كن سلمن أنفسهن له فلكي يتخلصن من الوحشة والغربة، إلا أن الأمير أراد هذه المرة امرأة لا يعرف الخوف إلى قلبها سبيلا، ولكي يتعلم من مُجالستها أمورا، فيُسرّ بذلك خاطره.

الرجل الثاني: وأين توجد مثلُ هذه المرأة؟

الرجل الأول: وأنا أيضا لم أجدها.

الرجل الثاني: أنا غير متفائل.

الرجل الأول: وأنا أيضا.

الرجل الثاني: وماذا ستفعل؟

الرجل الأول: لا أدري.. وقد أمرني الأمير بألا أعود خاوي الوفاض.

الرجل الثاني: أسفا على حالك.

الرجل الأول: يا للمصيبة!

الرجل الثاني: الشبكة والحبل والسوط لا توقع السيدة العالمة في الفخ؟

الرجل الأول: كلا.. فما العمل؟

الرجل الثاني: (يُخرج من كيسه قماشة) بهذا الحرير؟

الرجل الأول: لاتتخدع.

الرجل الثاني: (يُخرج بعض الجواهر والعطور) عطور وجواهر؟

الرجل الأول: كلا.. أعلمني الأمير أن العلم زينتها.

الرجل الثاني: حتى الآن كنت أفتن النساء بهذه الأشياء، وبوعود حسنة وسعيدة.

الرجل الأول: أما أنا فكنت أجلبهن بالقوة.. ولكن فيما يتعلق بالمرأة العالمة، كما ادعى الأمير، فإنها تأتي من تلقاء نفسها.

الرجل الثاني: وهنا تكمن صعوبة القضية.

الرجل الأول: أدرك هذا... ما أفضل تلك الأيام حين كنت أنصب الشبكة وأقتنص من أريد... كنت أستند إلى جدار وأنفخ في المزمار، وإذا بالصبايا يتوافدن عليّ مصغيات، فأوقعهن في فخي،

وأربطهن من أيديهن وأرجلهن بالحبل وأقودهن.

الرجل الثاني: أما كن يصرخن؟

الرجل الأول: معي سوط.

الرجل الثاني: فقد كنتَ عديم الرحمة أيضا.

الرجل الأول: ما دام الأمر يتطلب ذلك. على أنني ما كنت أوصل إلى قصر الأمير امرأة... بل أوصل تمثالا من الرعب والهلع. وما كان أمير قريتنا يدري ماذا يفعل بتلك الفئران الفزعة.

الرجل الثاني: ولا بد من أنه أراد هذه المرة امرأة على غير هذه الصورة.

الرجل الأول: وأن تكون عالمة وشجاعة.

الرجل الثاني: وكيف ستكتشف علمها وشجاعتها؟

الرجل الأول: ذكرتُ لك أنها تأتي بنفسها على قدميها.

الرجل الثاني: هي إن قدمت بنفسها كانت شجاعة... ولكن ماذا عن علمها؟

الرجل الأول: المرأة العالمة لا تُحجم عن أي تجربة، وتقدم على كل عمل، وتتفاءل خيرا من كل حدث، وتكسب علما من هذه التجارب، ولا تهاب شيئا.

الرجل الثاني: من أي شيء؟

الرجل الأول: كذا قال الأمير.

الرجل الثاني: يعلم أميركم ما يريد.

الرجل الأول: لو لم يكن يعلم لما صار أميرا.

الرجل الثاني: فليهنأ بعيشه وسعادته.

الرجل الأول: أجل، ليهنأ بعيشه وسعادته.

الرجل الثاني: فإن عدت الآن صفر اليدين، فبماذا يعاقبك الأمير؟

الرجل الأول: سيسلم رأسي إلى الجلاد.

الرجل الثاني: أوصيك يا أخي بألا تُسرع بالعودة.

الرجل الأول: إن لم أعد فماذا تراني فاعلا؟

الرجل الثاني: اجلس ومُدّ شِراكك.. فمن يدري ماذا تحت السماء العالية، وفوق هذه البسيطة الشاسعة.. وماذا سيجري من أمور (يريد الذهاب) أستودعك الله يا أخي.

الرجل الأول: حفظتك السلامة.

(يخرج الرجل الثاني... يجلس الرجل الأول تحت النخلة... وينفخ في المزمار من غير تفكير... وبعد لحظات يظهر رأس امرأة من جانب، فتنظر إليه.. فيتوقف الرجل عن العزف بالمزمار، وينظر نحو المرأة بحيرة).

المرأة الأولى: ما أحسن عزفك بالمزمار!

الرجل الأول: هل أعجبك؟

المرأة الأولى: من أين قدمتَ؟

الرجل الأول: من تلك القرية خلف النهر.

المرأة الأولى: وما صناعتك؟

الرجل الأول: أخدم أميرها.

المرأة الأولى: تخدم الأمير؟ فماذا تفعل هنا إذن؟

الرجل الأول: أرسلني الأمير.

المرأة الأولى: لماذا؟

الرجل الأول: جئت أبحث له عن امرأة.

(تصرخ المرأة وتختفي.. يعود الرجل إلى تفكيره يائسا. ثم يعود إلى عزفه بالمزمار.. تظهر امرأة أخرى من جانب آخر... ترتدي رداء قصيرا وتقف متطلعة... فيتوقف الرجل عن العزف بالمزمار).

المرأة الثانية: أنتَ... ماذا تفعل هنا؟

الرجل الأول: جالس أعزف بالمزمار.

المرأة الثانية: ولمن تعزف بمزمارك؟

الرجل الأول: أعزف لنفسي بسبب ضيق صدري.

المرأة الثانية: وما سبب ضيق صدرك؟

الرجل الأول: سببه الوحدة التي أنا فيها.

المرأة الثانية: أأنت غريب عن ديارنا؟

الرجل الأول: غريب... غريب.

المرأة الثانية: أجئت تبحث عن شيء؟

الرجل الأول: أجل... بحثاً عن شخص.

المرأة الثانية: من هو؟

الرجل الأول: امرأة

المرأة الثانية: هربتْ منك؟

الرجل الأول: كلا.

المرأة الثانية: ما اسمها؟

الرجل الأول: لا أدري.

المرأة الثانية: ما ميزتها؟

الرجل الأول: العلم.

المرأة الثانية: العلم؟ (تفكر) لماذا أحببتها؟

الرجل الأول: أنا لم أحبها... أميرنا يطلبها.

المرأة الثانية: أميركم؟

(تصرخ صرخة عالية وتعمد إلى الفرار. يعود الرجل إلى استغراقه في التفكير... وفي أثناء ذلك تبدو امرأة ثالثة من جانب آخر... ينهض الرجل ويقف بإزاء النخلة)

المرأة الثالثة: السلام عليك يا أخي.

الرجل الأول: وعلى الأخت السلام.

المرأة الثالثة: أعجبُ من قدومك إلى ناحيتنا.

الرجل الأول: قدمت من القرية خلف النهر أيتها السيدة الكريمة.

المرأة الثالثة: أجئتَ تطمع في شيء؟

الرجل الأول: كلا... لم آتِ طمعا في شيء.

المرأة الثالثة: غير أنه بلغني أنك تسعى إلى سرقة امرأة أخرى.

الرجل الأول: لم آتِ هذه المرة بنيَّة السرقة... قدمتُ أبحث عن امرأة عالمة... أرسلني أمير قريتنا.

المرأة الثالثة: ولمَ أرسلك الأمير؟

الرجل الأول: لأنني خادمه.

المرأة الثالثة: أيريد المرأة العالمة من أجلك؟

الرجل الأول: بل يريدها لنفسه كي تكون سيدة حريمه.

المرأة الثالثة: فلماذا لم يسعَ للبحث عنها بنفسه؟

الرجل الأول: إن لديَّ خبرة أكبر في هذا الشأن.

المرأة الثالثة: فماذا عن أميركم؟

الرجل الأول: إنه لا يعتمد إلا عليّ.. فأنا الذي جلب له النساء جميعا.

المرأة الثالثة: وكيف جلبتَهُنّ؟

الرجل الأول: كل واحدة منهن بطريقة أو بحجة.

المرأة الثالثة: ما الطريقة.. وما الحجة؟

الرجل الأول: أحيانا بهذه الوسيلة (يشير إلى الناي)... وأحيانا بهذا الحبل (يريها الحبل).

المرأة الثالثة: بالحبل؟

الرجل الأول: أجل... فكل من حاولت الهرب، أو رفضت الاستجابة، أخذتها بهذا الحبل وربطت يديها ورجليها.

المرأة الثالثة: وبعد ذلك؟

الرجل الأول: وبكل اطمئنان أذهب بها إلى قريتنا... وأدخل بها على الأمير.

المرأة الثالثة: وبأي وسيلة من وسائل صيدك ستأخذ قنيصتك هذه المرة؟

الرجل الأول: هذه المرة لن أستخدم أيا من وسائلي... قدمتُ هذه المرة بحثا عن امرأة شجاعة... وستأتي طوعا.

المرأة الثالثة: وهل كل من تتبعك على قدميها شجاعة غير هيّابة؟

الرجل الأول: نعم يا سيدتي... المرأة الجريئة لا تهاب شيئا.

المرأة الثالثة: غير أنك قدمت بحثا عن امرأة عالمة لا شجاعة.

الرجل الأول: قال أميرنا إن الشجاعة والعلم وجهان لعملة واحدة.

المرأة الثالثة: ألا فاعلم أيها الرجل أنني مَن تبحث عنها.

الرجل الأول: فإن كنتِ أنتِ مَن أبحث عنها فستأتين معي حتما إلى قصر الأمير.

المرأة الثالثة: أنا هي... ولسوف آتي معك.

الرجل الأول: أرى أنكِ لا تهابينني يا سيدتي.. ولن تتهيَّبي محضر الأمير.

المرأة الثالثة: أنا لا أخاف الأمير ولا غيره... أصلا لا يوجد في الدنيا شيء مخيف.

الرجل الأول: ما أجمل ما تقولين... أنت من يتمنّاها الأمير.

المرأة الثالثة: نعم أنا هي... سأذهب معك... إلا... إلا أنني لا أحب أن أرى هذا الحبل بيدك (تأخذ الحبل من يد الرجل).

الرجل الأول: (يخاطب نفسه) أيُّ قلب وأي جرأة! وأي جسارة (يخاطب المرأة)... أراك تزأرين كاللبؤة... وتمشين كالنمر!

المرأة الثالثة: المرأة الشجاعة هكذا تكون دوما.

الرجل الأول: وعلى عكس ذلك المرأة الجبانة، فهي تُزهق الروح سأما، وتُنفِّر المرء من عيشه، وتدفعه إلى كراهية حياته.

المرأة الثالثة: (وهي تدور حول النخلة) إلا أن المرأة الشجاعة لا تخاف، ولا تُزهق روح الرجل من السآمة، ولا تنفره من عيشه، وتحببه في الحياة.

الرجل الأول: وتمنح الرجل شجاعة.

المرأة الثالثة: إنها قوة قلب الآخرين.

الرجل الأول: إنها باعث للسرور.

المرأة الثالثة: تسحر الجميع.

الرجل الأول: تُوقع الجميع في عشقها وهُيامها.

المرأة الثالثة: وذات لسان جاذب.

الرجل الأول: ليست عاجزة ولا ضعيفة.

المرأة الثالثة: (تقف خلف الرجل) ولا تؤسر.

الرجل الأول: لا تصيح... ولا تتأوه... ولا تتعلق بأذيال الرجل كالفأر.

المرأة الثالثة: ذراعها قوية... وتتغلب على كل رجل... رحيمة مع الراحمين، شديدة على الخصوم.

الرجل الأول: لا يخدعها منظر الذهب ولا الحلي.

المرأة الثالثة: ولا تقبل إحسان أحد.

الرجل الأول: تكتشف خداع الدجّالين.

المرأة الثالثة: وتربط أيدي الصيادين وأرجلهم وتأسرهم (تمرِّر الحبل من أمام جذع النخلة وتربط الرجل بإحكام).

الرجل الأول: ماذا تفعلين يا سيدتي؟ ماذا تفعلين؟ (يتحرك يمينا وشمالا ليحرر نفسه فلا يستطيع).

المرأة الثالثة: (تنادي) يا حبيبة... يا وجيهة.. يا نعيمة... يا خديجة!...

الرجل الأول: ماذا فعلتِ؟ أيّ مصيبة تريدين إيقاعها بي؟ (يخرج عدد كبير من النساء من الأرجاء، وبأيديهن السياط).

المرأة الثالثة: (تتقدم إلى الأمام وبيدها السوط... تحيط النساء بالرجل) استعد أيها الرجل لتذوق سوط المرأة العالمة والشجاعة... هنيئا مريئا... وبعد ذلك أطلقُ سراحك لتعود إلى قريتكم. وإن سألك أميركم عن المرأة العالمة فاكشف ثوبك عن كتفيك وأره آثار السوط عليهما. وأخبره أنك عثرت على المرأة العالمة اليوم، وغدا ستأتي قصرك وبيدها السوط.

(ترفع سوطها، وترفع النساء سياطهن، وتُسدل ستارة المسرح مع أصوات السياط وصراخ الرجل).

المسرحية الخامسة:

«منزل النور»

شخوص المسرحية

- عميد عسكري
- طبيب عسكري
- ملازم

(غرفة نوم العميد. الباب والنافذة متقابلان. ستارة الغرفة مُسدلة. الغرفة نصف مظلمة. وحين ترفع الستارة تبدو حديقة واسعة من خلفها. تُرى عدة رفوف مكتبة في أعلى الغرفة. وعوضا عن الكتب ملئت الرفوف بأنواع عجيبة غريبة من الزجاجات وأكياس الماء الساخن المختلفة، أطباق كبيرة وصغيرة، حُقن مكسَّرة، أربطة من الشاش بعضها مستعمل والآخر غير مستعمل، قطن قذر، وسائل طبية أخرى يحتاج إليها مريض مقعد. وقد علقت فوق الرفوف بالمسامير أنواع عديدة من الثياب العسكرية، والشارات والقبعات العسكرية، والسيوف الكبيرة، وأغمدة مسدسات خالية، ومجموعة من العصيّ، وأزواج عدة من الأحذية العسكرية. وفوق ذلك كله خزانة زجاجية ممتلئة بالميداليات المختلفة تشير إلى أن العميد رجل غاية في الأهمية.

سرير خشبي فاخر في صدر الغرفة، تحته سُرُج خيل، وملابس. وقرب الباب سرير صغير وقصير، يرقد عليه العميد وهو في حالة الاحتضار.

حين ترفع الستارة يبدو المريض بوجه شاحب، مستلقيا على السرير، ونصف جسده الأيسر

مشلول الحركة. وقد أتمَّ الطبيب العسكري فحصه، وهو الآن يقوم بجمع الوسائل واللوازم الطبية. كما يصل إلى الأسماع أصوات العمال والبستانيين من الحديقة، وهم يتكلمون بصوت مرتفع).

العميد: (بصوت ضعيف ومرتجف) حسنا أيها الطبيب،... ما رأيك؟...
هل من الممكن أن أتحسَّن؟

الطبيب: (بصوت تبدو عليه علائم الجد وهو في حالة التحية العسكرية) وماذا قال أولئك لكم يا سيدي أعني الأطباء الآخرين؟

العميد: دعك منهم... ماذا تقول أنت؟ يعني هل سأشفى؟

الطبيب: وهل قالوا شيئا غير هذا؟

العميد: كلا...لم يقولوا شيئا. غير أنهم حاولوا أن يُفهموني أنْ... لا أملَ في شفائي.

الطبيب: إني آسف... آسف حقا.

العميد: فأنت متفق معهم في الرأي!

الطبيب: كلا يا سيدي.

العميد: فلماذا تتأسف إذن؟

الطبيب: إني آسف لحال أولئك الأطباء الذين تهيأ لهم هذا... إنهم لا يفهمون شيئا.

العميد: وأنت كيف؟... هل أدركتَ سبب مرضي؟

الطبيب: يا سيدي.. المذنب الحقيقي في تردِّي وضعك هو

هؤلاء الأطباء أنفسهم. فهم أضعفوا من معنوياتك، من غير أن يفهموا، إضعافا شديدا بما أبدوه من يأس. في حين أنني أصرِّح لك وبكل جرأة أنك لا تعاني أي داء.

العميد: (متعجبا) ماذا؟ أنا أصلا لست مريضا؟

الطبيب: ثق بما أعرضه عليك.

العميد: أفحصتني جيدا؟

الطبيب: أجل يا سيدي.

العميد: أعني أكشفت عليَّ بكل دقة؟

الطبيب: أجل يا سيدي... بكل دقة.

العميد: كيف إذن تقول إني خالٍ من كل علة؟

الطبيب: لأنك يا سيدي ليست بكَ علة أصلا.

العميد: ولكن ألم تر يدي ورجلي؟ (يشير بيده اليمنى إلى يده اليسرى ورجله المشلولتين).

الطبيب: بلى رأيت.

العميد: منذ ثلاثة أشهر وأنا مُقعد.. نصف جسمي مشلول عاجز عن الحركة، ومع ذلك تقول إنه لا داءَ بي.

الطبيب: المشلول المقعد هو الذي لا أمل في تقدم صحته مطلقا.. غير أنك لست كذلك.

العميد: إنني لا أقدر على الحركة من مكاني... لقد ذاب جسمي، ولم يبقَ مني شيء.

الطبيب: كل هذا لا يدل على شيء.. قد يَضعُف أي جسم.

العميد: وماذا تقول عن قلبي؟

الطبيب: إن قلبك يعمل أفضل من الساعة.

العميد: أيها الطبيب.. لقد أصبحتُ عجوزا، ولا يأمل أحد في تحسُّن حالي.

الطبيب: إنني آمُلُ يا سيدي.

العميد: أنت تأمل من غير جدوى، كيف يمكن هذا؟ إنني إنسان مقعد ولا أستطيع التحرك من مكاني.

الطبيب: ستقف على قدميك بعد أسبوعين.

العميد: ماذا سأفعل بعد أسبوعين؟

الطبيب: ستغدو سالما مُعافى.

العميد: وماذا عن يدي ورجلي؟

الطبيب: ستغدو يدك قوية، حتى أنك ستتمكن من إصابة أصغر هدف بأثقل بندقية.

العميد: تكلم عن يدي اليسرى.

الطبيب: وكلامي عن هذه اليد نفسها.

العميد: إنني لم أرمِ بيدي اليسرى طوال حياتي.

الطبيب: سترمي هذه المرة يا سيدي.

العميد: (غير مصدق، مفكرا)... وماذا عن قدمي؟

الطبيب: وكذلك قدمك يا سيادة العميد... ولسوف ترى أن مرور الأيام، أو الشيخوخة، أو أي عائق آخر لن يعمل على إقعاد جندي حقيقي عن أداء واجبه. إن صوت قدم تلك الرِّجل الجامدة المسجاة الآن تحت اللحاف قادرة ثانية... أجل قادرة على أن تهزّ

أرض أضخم الثكنات العسكرية.

العميد: وكيف؟

الطبيب: سوف ترى.

العميد: ومن ذا الذي سيصنع هذه المعجزة؟

الطبيب: علم الطب... الطب الحقيقي يا سيدي.

العميد: علم الطب دائما يبعث اليأس.

الطبيب: لا يبعث الطبُّ اليأس مطلقا... الطبيب هو الذي يولد اليأس. الطب الحقيقي يشبه قانون الجيش إلى حد كبير... في كليهما شفاء... كلاهما ينقذ. وكلاهما يحب القوة والقدرة... الطبيب هو أفضل صديق للرجل العسكري.

العميد: فلماذا لم تُبذل لي أي مساعدة؟ منذ أشهر وأنا عاجز... وأعتقد أن الأمر قد انتهى.

الطبيب: ستتحسن... ستمشي خلال أسبوعين قادمين... أعدك بذلك... وتأكد.

العميد: آملُ ذلك.

الطبيب: (يبتسم) لابد من الأمل... ولديَّ عدة رجاءات من سيادتك.

العميد: رجاء؟

الطبيب: أجل يا سيدي... عليك أن تنسى جميع من عالجك حتى الآن... أنت رجل عسكري، وتحتاج إلى طبيب عسكري.

العميد: العميد: وماذا أيضا؟

الطبـــيب: وغير ذلك، إنك في حاجة إلى إرادة.

العـمـيـد: وكيف تكون الإرادة؟

الطبـــيب: (بصوت قوي وحازم) أن تكون جيدا يا سيدي.

العـمـيـد: بالإرادة؟

الطبـــيب: أجل يا سيدي... أنت قائد وجندي حقيقي... الموت يهابك... الموت يخاف من الإرادة... الموت يخاف من القائد العسكري.

العـمـيـد: فبالإرادة أصحُّ وأشفى؟

الطبـــيب: ولابد من المساعدات الطبية طبعا... وسأتولى معالجتك... عدة أيام أدوية... كل يوم عدة ساعات «تدليك» لليد والرجل لأجل تقوية العضلات... ثم سير في الغرفة... أو الشرفة... ثم في الحديقة... ثم ركوب الخيل... ثم تسلق الجبال.

العـمـيـد: وإذا لم أستطع؟

الطبـــيب: تستطيع... يجب أن تستطيع... حتما تستطيع... عندئذٍ يُحَلُّ كلُّ شيء.

العـمـيـد: (بأمل) فأنا قابل للشفاء؟

الطبـــيب: طبعا يا سيدي... وعليك أن تتحلى بالإيمان.

العـمـيـد: أتقول الحقيقة، أم أنك تريد منحي الأمل؟

الطبـــيب: أنا أقول الحقيقة وأمنحك الأمل... أنا رجل عسكري... طبيب عسكري. ولا معنى لليأس في قانون العسكرية... على المرء أن يتحلى بالأمل، وأن يبث الأمل في نفوس الآخرين.

العـمـيـد: أحسنتَ أيها الطبيب.

الطبـيـب: أشكرك يا سيادة العميد... ستشفى وتغدو سالما بكل تأكيد، وستستعيد تلك الأبهة والجلال الدائمين... ومرة ثانية سيصبح اسمك على الألسنة... وستكون أيضا ذلك القائد العظيم، صاحب القوة الشهيرة... وستتناقل الأيدي صورتك، وستوضع على المناضد، وفي أعلى القاعات الكبيرة. وسيعود لاسمك - الذي كان زينة لافتخارات الماضي - مرة أخرى الجلال والجبروت أنفسهما. يمكننا أن نصرف النظر في الدنيا عن كل شيء، وأن ننسى كل شيء إلا القوة. أنت لاتزال قادرا، وقدرتك ستتغلب على كل شيء. وهنا لن تؤثر رغبتك وعدم رغبتك، إنه القضاء والقدر الأزليان. أنت قائد ويجب أن تظل قائدا.

العـمـيـد: (بابتسام) ولكن أيها الطبيب... قد فهمت من سلوك الآخرين أمورا تبعث على الأسف.

الطبـيـب: كيف؟

العـمـيـد: أحس بأن عهد تقاعدي قد أزف.

الطبـيـب: إن شخصية مثلك لا يجوز لها أن تتقاعد في أي فترة من حياتها... أكرر كلامي يا سيدي... القائد دائما قائد.

العـمـيـد: (اعتراه فرح شديد) حسنا... ومتى تبدأ العلاج؟

الطبـيـب: في اللحظة التي تريدها.

العميد: من هذا اليوم.

الطبيب: موافق.. سأعود لخدمتكم في المساء... وستكون إنسانا آخر بدءا من هذا المساء.. وسيتغير هذا اللون الشاحب.. هذان العضوان الباردان - الرجل واليد - سيجدان الحياة من جديد، وتصبحان دافئتين... وستنتظرني في الأيام التالية بصلابتك المعهودة نفسها.

(يتناول حقيبته ليخرج)

العميد: أيها الطبيب...!

الطبيب: نعم يا سيدي...

العميد: (بلهجة شديدة القوة) عُد مساء بسرعة.

الطبيب: سمعا وطاعة يا سيدي (يقدم له تحية عسكرية بقدميه ويخرج).

(يتريث العميد لحظات... لقد أثرت كلمات الطبيب فيه، واشتدت عضلات وجهه... يعبس ثم يضغط زر الجرس الموجود على المنضدة قرب يده... يُسمع صوت الجرس من الخارج ولا خبر، يقرع الجرس ثانية وثالثة... وبعد عدة لحظات يدخل ملازم ممرض بلباسه العسكري، وقد وضع سيجارة بين شفتيه، ويتقدم نحوه بشكل مهمل وببطء... يضع الحوض الذي بيده تحت السرير، وينحني نحو المريض)

الملازم: هل أردت شيئا؟

العميد: (بعتاب وغضب) ارجع إلى الوراء... قف مستويا وباستعداد (يُفاجأ المرض، فيسوِّي قامته) ليس هكذا بخمول وانحلال... ألست عسكريا؟

الملازم: سمعا يا سيدي (يقف منتصبا، ومازالت السيجارة في فمه).

العميد: (وقد استعاد قوته) ارم تلك القَذارة بعيدا.

الملازم: قذارة؟.. (ينظر حوله) أي قذارة؟

العميد: أنت تدخن أمامي؟

الملازم: (ينتبه لوضعه) عفوا سيدي (يأخذ السيجارة من فمه).

العميد: لقد أخطأت... ارمها بعيدا.

الملازم: (يطفئ السيجارة ويضعها في جيبه) أعتذر.

العميد: أيسرُّك أن أودعك السجن؟

الملازم: أعتذر يا سيدي... كنت متعبا فقلت: لأسحب دخاناً من السيجارة.

العميد: أخطأت أن كنت متعبا... لقد أصبحت وقحا جدا.

الملازم: نعم يا سيدي.

العميد: (بسخرية) نعم يا سيدي. لقد غدوت في هذه المدة فوضويا جدا.. أنسيت كيف يجب أن تحترمني؟

الملازم: كنت مريضا يا سيدي.

العميد: وإذا كنتُ مريضا، أفلا يجب أن تحترمني؟

الملازم: نعم يا سيدي، غير أنني كنتُ طيلة هذه المدة مشغولا... كنت أقوم بالتنظيف؛... أفرِّغ الأطباق والأحواض، وآتي بالطعام، وأبدل الملاءات. أنت تعلم كيف عمت الفوضى والاضطراب. كنت أقوم بواجب الضيافة لمن يأتي لعيادتك، كما أقوم بأعمال أخرى.

العميد: هذه الأعذار مرفوضة كلها... أتسمع؟

الملازم: أجل سيدي.

العميد: حتى لو متُّ عليك أن تحترمني... ألم تَرَ أي احترام يكون لجنازة قائد عسكري أو إنسان ذي مقام؟... أي إجلال؟ أرأيت أم لم ترَ؟

الملازم: بلى يا سيدي رأيت.

العميد: في حين أنك أيها الأحمق بدأت بعدم احترامي ولم أمت بعد؟

الملازم: كلا يا سيدي.

العميد: اسمع ما أقول جيدا: في هذه المدة التي كنت أرتاح فيها ظن كثيرون أن أمري منته، ولم يبق شيء من عمري. ولقد شعرت تماما أن الآخرين لا يحترمونني ذلك الاحترام السابق: ضابط صغير يضع إحدى رجليه على الأخرى أمامي، كأنه جاء لعيادة عسكري خادم له. وذلك البستاني البغل يغني باستمرار تحت نافذتي. وأنت أيضا، أتظنني لا أفهم؟ كلما

سحبت الحوض من تحتي تبدي عبوسا كأن ظلما كبيرا حلَّ بك.

الملازم: كلا يا سيدي، أنا لا أجرؤ على ذلك.

(يسمع صوت البستاني من تحت النافذة)

العميد: أتسمع؟ أتسمع؟ هذا نموذج مما ذكرت. اذهب إلى هذا الرجل الحقير، الجاهل، وقل له كفاه نهيقا (يخرج الملازم ويكلم العميد نفسه) سأطبخ لكم طبخة تذوقونها جيدا بأنفسكم، طيلة المدة التي رقدت فيها هنا.. كل واحد منكم أرخى عنانه (تتوقف الأصوات الخارجية). أنا إن لم أؤدبهم تأديبا حاسما فلن يصبحوا بشرا.

العميد: (يدخل الملازم) هل خرس؟

الملازم: أجل يا سيدي.

العميد: اسمع جيدا: الويلُ لكم بعد الآن، فقد تقدَّمت صحتي.

الملازم: الحمد لله.

العميد: لا ضرورة لأن تحمد الله من أجلي.

الملازم: حاضر سيدي.

العميد: بدأتُ أحيا منذ الآن، وسأمشي في خلال أيام. وبعد أسبوع أو أسبوعين سأعود إلى العمل... أتسمع؟

الملازم: نعم يا سيدي.

العميد: عندئذ سأسلخ جلدكم جميعا... سأعاقبكم جميعا.

الملازم: نعم سيدي.

العميد: وسيكون عقابك أشد من أي أحد آخر.

الملازم: أنا لم أرتكب مخالفة يا سيادة العميد.

العميد: المفروض أنك القائم على جميع شؤوني، مساعدي وممرضي الحنون الرؤوف... أليس كذلك؟ حين تكون أنت هكذا فالويل لي... أصغ جيدا.

الملازم: مُرْني.

العميد: من الآن فصاعدا عليك تنفيذ كل أمر أصدره تنفيذا حرفيا وكاملا.. لا تعتقد أنك تستطيع أن تقوم بأي مخالفة تريدها.

الملازم: سمعا وطاعة سيدي.

العميد: اذهب ورتب ذاك السرير الكبير، أريد أن أذهب وأرقد عليه.

الملازم: على ذلك السرير؟

العميد: نعم.. ولا تناقشني كثيرا.

الملازم: ولكن يا سيدي.. قال الأطباء إن هذا السرير أفضل لك.

العميد: أخطأوا أن قالوا ذلك. أنا هنا وحدي الذي يعطي الأوامر وليس أولئك الحمالون. أترتب السرير أم أرسلك لتضرب بالسياط؟

الملازم: سمعا وطاعة سيدي (يتجه نحو السرير الكبير).

العميد: هيا أسرع... انظر إلى أي حالة أوصلتني؟... بعد أسبوع سأسلخ جلدكم جميعا... ماذا تفعل؟

الملازم: أرتبه سيدي.

العميد: رتبه بسرعة... أما انتهيت؟

الملازم: (يبسط ملاءة على السرير) أجل سيدي.

العميد: حسنا جدا... تقدم إلى هنا... أتستطيع إنهاضي وحملي؟

الملازم: طبعا سيدي.

العميد: ماذا يعني طبعا يا بغل؟ أتعني أنني أصبحت ضعيفا نحيلا، حتى أنك تستطيع حملي بين يديك؟

الملازم: كلا سيدي... لا أستطيع.

العميد: حسنا جدا... إذا كان الأمر كذلك فهيا ارفعني وضعني على ذلك السرير.

(يضع الملازم يد العميد على رقبته، ويمدّ يديه تحت جسد العميد المشلول ليرفعه).

العميد: أف أفٍ... ماذا تفعل أيها الأحمق؟

الملازم: عفواً سيدي.

العميد: أعمالك هكذا دائما.. هيا أسرع.

الملازم: (يرفع العميد، وفي وسط الطريق) ألستَ متضايقا؟

العميد: هذا لا يعنيك... أرني كيف وضعي؟ توقف لأرى، أأصبحتُ نحيلا جدا؟

الملازم: كلا يا سيدي... ما شاء الله... ألف ما شاء الله... وزنك ثقيل جدا.

(يضعه على السرير)

العميد: (صائحا) آه... آه... رويدك، رويدك يا بغل... ماذا تفعل؟ لقد بقيت يدك تحت بدني (يسحب الملازم يده من تحت بدنه) أأعمى أنت؟ حقير خرف... صلِّح من وضع قدمي... حمار أنت؟ ألا ترى؟

(الملازم مضطرب... يرتب وضع العميد)

الملازم: (يلاحظ أن الأمر صار جديا تماما) هل الوضع جيد سيدي؟

العميد: ليس جيدا، ولكن لا بأس. هيا ضع شيئا تحت رأسي حتى يرتفع (يحضر الملازم عدة وسادات ليضعها تحت رأس العميد)

الملازم: (بخوف وقلق) أعتذر يا سيدي على جرأتي... كأن الأطباء قالوا إنه ليس من المفيد لك أن يكون رأسك مرتفعا.

العميد: أخطأ الأطباء إذ قالوا ذلك... رأسي يجب أن يظل دائما عاليا... دائما.

الملازم: نعم سيدي (يضع الوسادات تحت رأس العميد)

العميد: (يجيل بصره في أرجاء الغرفة بصعوبة) منذ كم من الوقت لم أخرج من هذه الغرفة؟

الملازم: منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

العميد: فانظر الحالة التي آل إليها هذا المكان خلال

هذه الأشهر الثلاثة. وإذا كان الوضع هنا هكذا فالويل للخارج... حتما الفوضى عمَّت في كل مكان... في كل مكان... في كل الدنيا... لابد من الإقدام على العمل بسرعة. يجب تسوية الوضع.. يجب إصلاح كل شيء... بدءا من هذه اللحظة... من هذا المكان (يغرق في التفكير) اذهب وأزح تلك الستائر. افتحها كي تدخل الشمس قليلا (يفتح الملازم الستائر، فتمتلئ الغرفة بنور الشمس) لماذا كنتَ أغلقت الستائر؟

الملازم: لقد أمر بذلك الأطباء.

العميد: لماذا؟ أأرادوا أن يدفنوني حيا؟ نعم؟ أرادوا ألا أرى الشمس.. حسنا جدا.. لا بأس.. لسوف أحاسبهم جميعا (يغمض عينيه كيلا يؤذيه نور الشمس) أين الهاتف؟ لماذا لم أعد أسمع رنين جرس الهاتف أبدا؟

الملازم: لقد فصلتُ التيار يا سيدي.

العميد: لماذا فصلتَه؟ من أمرك بذلك؟

الملازم: كان جرس الهاتف يضايقك.

العميد: يضايقني أنا أم يضايقك أنت؟ ها؟ أصلا فيمَ يعنيك هذا أنت حتى تتدخل؟ أأرسلك إلى السجن؟

الملازم: أنا لم أفعل هذا يا سيدي... إنه أمر الأطباء.

العميد: الأطباء... الأطباء... إذن، كل ما عانيته حتى

الآن كان بسبب الأطباء.. منذ الآن فصاعدا يجب ألا تقع عيني على أي واحد منهم... لا يحق لهم أن يظهروا أمامي... الويل لهم إذا ظهروا... عندئذ هم المسؤولون عن دمائهم... أفهمت؟

الملازم: نعم يا سيدي.

العميد: لا تكرر... نعم سيدي... نعم سيدي... أحضر الهاتف إلى هنا.

(يُخرج الملازم الهاتف المعفّر بالغبار والتراب من الصندوق، ويوصل التيار) ضعه في متناول يدي.. لقد قطعتم اتصالي عن العالم.

الملازم: الهاتف جاهز.

العميد: اتصل بديواني.

الملازم: ديوانك؟...

الملازم: نعم.. كم مرة يجب أن أكرر كلامي؟

العميد: (يضرب رقما.. يصغي) ألو... ألو... لحظة من

الملازم: فضلك (للعميد) مع من تريد الكلام؟

العميد: أنت أعطني سماعة الهاتف... أنا أعرف مع من أتكلم... ضع هذه بيدي... ألا ترى عيناك؟ (يتناول سماعة الهاتف بيده السليمة، وبصوت فيه صلابة مصطنعة) ألو... من أنت؟... أنا؟... ماذا؟... لماذا لا تتكلم؟... لا فائدة من إلقائك السلام... نعم أنا نفسي لا تصدق.. ها؟ لكن

صدق، وقل ذلك للآخرين... حسنا... ما الأخبار هناك؟ كل شيء في مكانه؟ أأنت متأكد من ذلك أم أنك تقولها لمجرّد الإجابة؟... كم مرة تفقَّدت؟... قليل... قليل... اذهب ثانية، زُرْ وتفقَّد... تفقدا دقيقا.. لاعلاقة لك بحال سيادتي... ترى جيدا أني بخير... سأباشر عملي بعد أسبوع... أفهمت؟ اذهب واهتم بعملك... إن سمعت أو رأيت أقل شيء من الفوضى وعدم الانضباط أرسلتكم جميعا إلى السجن... يبدو أنكم نسيتم الانضباط... اذهب وتفقد... وبعد ساعة أعطني تقريرا عن الوضع بالهاتف...

(تقع سماعة الهاتف من يده... ينتظر عدة لحظات وهو فاقد القوة، ثم يقول للملازم) أأنت واقف تتفرج علي؟ هيا ضع السماعة مكانها (يأخذ الملازم السماعة بسرعة ويضعها على الهاتف... ينظر العميد حوله وهو راض، لقد استعاد صحته تماما).

العميد: أين عصاي؟

الملازم: معلقة هناك.

العميد: حين أقول لك أين عصاي عليك أن تفهم قصدي... لديّ عين وأعرف أنها هناك... إنما قصدي أن تحضرها وتعطيني إياها.

(يتناول الملازم العصا من على الجدار، ويعطيها العميد... يمعن العميد النظر في العصا إمعانا عجيبا، كأنه في حالة جذب... وشيئا فشيئا تشرق أساريره... يضرب قدميه بالعصا بشكل لا إرادي... وتستمر هذه الحال مدة من الزمن... ويمكن إدراك الحالة النفسية للعميد من إيقاع حركة العصا)

العميد: وأين بندقيات الصيد؟

الملازم: في المخزن سيدي.

العميد: عليك أن تنظفها جميعا بشكل جيد هذه الليلة... أنت بلا شك لم تنس كيفية تنظيف الأسلحة، أليس كذلك؟

الملازم: كلا سيدي.

العميد: وأين جوادي؟

الملازم: في الإسطبل.

العميد: وهل اهتممتم به خلال هذه المدة أم أنكم أهملتموه كما أهملتموني؟

الملازم: حاشا لله يا سيدي.

العميد: مُرْهُم أن يعدّوه ويُسرجوه جيدا... أن يهتموا به تماما... أن يعطوه علفا كافيا.. ويهيئوه.

الملازم: حاضر سيدي.

العميد: أريد الذهاب للصيد.

الملازم: إن شاء الله.

العميد: أريد أن أصطاد جميع ما ألقاه من غزلان وأيايل.

الملازم: لا شك في أنك ستقوم بهذا العمل.

العميد: يجب أن أقوم بكثير من الأعمال.

الملازم: إن شاء الله.

العميد: لا تسايرني على كلامي.. إنما أنا أقول أشياء حتمية.

الملازم: طبعا سيدي.

العميد: عليَّ أن أقوم بأعمال تجعل الجميع يهابني، ويحسب حسابي، ويصغي إلى كلامي، ويخشاني... وفي الوقت نفسه يحبني.

الملازم: يجب أن يكون ذلك سيدي.

العميد: سأعود إلى الثكنة، سأعود ثانية إلى الساحة، إلى قاعة الفصل، مخزن الأسلحة... إلى كل مكان.. أتفهم؟

الملازم: نعم سيدي... أفهم.

العميد: كلا إنك لا تفهم... سأتصرف بشكلٍ يجعل الجميع يعتقدون أنني قادم، الآن سأمسك بهم... أرى فوضويتهم وتخلفهم عن الانضباط والنظام... أفهمت الآن؟

الملازم: أجل فهمت.

العميد: الآن وقد فهمت.. اعلم أنني لن أرحم أحدا عندئذ... اعتقال... سجن.. عمليات ثقيلة،

عمليات صحراوية... سأجعلهم يطوفون حول الساحة ساعات (في شكل أمر عسكري)... واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... هت... هو... هه... هار... هـ هـ هـ ها... اركض... سِر (صائحا) اركضوا إلى جهنم... (ينقطع نفسه).

الملازم: أجل سيدي.

العميد: الويل لمن لا يستجيب لكلامي... الويل لمن يرفض الانصياع لأوامري... أرسله فورا إلى السجن... سأملأ السجون. وإذا تطلب الأمر بنيت سجونا جديدة... سأبني سجونا جديدة (بصوت عال) الكلام كلامي فقط.

الملازم: صحيح سيدي.

العميد: الكلام كلامي فقط (متضايقا) هيا يا ولدي... أحضر لي ذلك الحوض، وضعه تحتي... هيّا بسرعة.

الملازم: حاضر (يحضر الحوض، ويضعه تحت العميد، ويمهّد الملاءة).

العميد: (تشرق أسارير وجهه شيئا فشيئا، ويقول وهو يلعب بالعصا) يجب... يجب أن أفكر وأهتم بكل شيء... لا تظن يا ولدي أنني لا أعرف إلا العقاب، أو إجبار الآخرين على الأعمال... كلا، أنا أفكر في الجميع.. عليّ أن أقوم بأعمال

كثيرة... رأسي هذا (يقرع رأسه بالعصا) زاخر بالأفكار الجيدة... اسمع ما أقول.

الملازم: تفضل يا سيدي.

العميد: هل عندك ورقة وقلم؟

الملازم: أجل يا سيدي.

العميد: أحضرهما، وسجِّلْ ما سأقوله لك (يُحضر الملازم دفترا وقلما) علينا ألا نُضيع الفرصة.. أريد أن أسجل على الورق كل ما يدور في خَلدي، لكي يعلم الجميع فيما بعد أنني فكرت فيهم جميعا، وأنني كنت رجلا مهما جدا (يكتب الملازم) لا تكتب هذا الذي قلته الآن... تبدأ حين أقول لك.

الملازم: عذرا سيدي.

العميد: أريد أن يعلم الجميع من أنا، وما هي الأفكار التي في رأسي. أريدهم أن يعرفوا جميعا السبب الذي يجعل احترامي واجبا عليهم (الملازم يكتب)... لا تكتب هذا... أقول هذا لنفسي لأصدق نفسي... حسنا، اكتب (يُجهد نفسه كي يضخم صوته) كلام جيد وممتاز... اكتب أولا (بصوت عال) على المرء أن يحب كل الناس (يتوقف، ثم يكرر) على المرء أن يحب كل الناس... ولاسيما المساكين... أجل المساكين.. كتبتَ؟

الملازم: أجل، كتبت.

العميد: ماذا كتبت؟

الملازم: كتبتُ يجب أن يحب المرء المساكين.

العميد: أحسنت... أحسنت أنّ كتبت... مائة مرة أحسنت... فقد كتبت جيدا... حسنا... أنت ما رأيك؟ هل تتفق معي في كلامي أم لا؟

الملازم: طبعا يا سيدي.

العميد: حسن جدا... اكتب الآن: ثانيا (يجهد نفسه كي يضخم صوته) بيت كل إنسان هو ملك له (يتوقف ثم يكرر) بيت كل إنسان... هو... ملك... له.

(يلاحظ الملازم حالة العميد غير الطبيعية بينما هو يكتب)

العميد: حسنا... ماذا كتبت؟

الملازم: بيت كل إنسان هو ملك له.

العميد: اكتب بخط جيد.

الملازم: حاضر يا سيدي.

العميد: الآن ثالثا... كل إنسان يجب أن يأكل الخبز من عمل يده.

الملازم: (وهو يكتب) كل إنسان يجب أن يأكل...

العميد: (مهتاجا) السخرة انتهت (ينظر إلى الملازم) اكتب هذه الجملة الأخيرة.

الملازم: يأكل الخبز.

العميد: اكتب... اكتب! (يجهد نفسه) اكتب الآن: لا يجوز لأحد أن يتحمل همَّ أي شيء (يكرر)... لا يجوز

لأحد أن يتحمل هم أي شيء... لأنني أنا الذي يتحمل هموم الجميع.

الملازم: (وهو يكتب) لأنني أنا الذي... الجميع.. لأنني أنا الذي يتحمل...

العميد: الفضول ممنوع... عليك أن تتريث، وأن تنتظر ما أقوله (يفكر ويجهد نفسه) اكتب... اكتب... خامسا،... اكتب المادة الخامسة... اكتب الإنسان إنسان... الإنسان... إنسان.

الملازم: (متعجبا.. ويتهجّي الحروف وهو يكتبها) الإنسان.. إنسان..

العميد: (راضيا ضاحكا) بهذا بلغ الأمر أوجَهُ... أليس كذلك؟ لم يقل أحد حتى الآن مثل هذا الكلام الجميل... الإنسان إنسان. فكِّر فيها... كم من المعاني تؤديها هذه العبارة!...

الملازم: أجل يا سيدي.. إنها تعطي معاني كثيرة.

العميد: (يعتريه هياج شديد... ويجهد نفسه وهو غاية في الاضطراب) اكتب.

الملازم: ماذا اكتب؟

العميد: اكتب... ويجب أن يكون هذا أكثر أهمية من كل ما سبق... مثلا...

مثلا... ماذا يمكن أن يكون؟ أتستطيع أن تتصور؟

الملازم: أكتبُ... كل من لا يصغي إلى هذه الكلمات تُزهق...

العميد: لا، كم أنت أحمق أيها الولد... انظر! (يدعوه بالإشارة للاقتراب ويقول له بصوت منخفض في أذنه) هذه الكلمات لا تُكتب ولا تقال أبدا.
يجب أن نجد أشياء جيدة، كلمات جيدة... آها.
اكتب... اكتب... اكتب... سادسا: (يجهد نفسه وبانطلاقة مع صوت عال) يجب أن يعود كل شيء إلى عهد الفخار الماضي (يتهجى الكلام) يجب أن... يعود... كل شيء... إلى عهد... الفخار... الماضي.

الملازم: هكذا صار ممتازا جدا (يضحك).

العميد: (بانفعال زائد) يجب أن يعود كل شيء إلى عهد الفخار الماضي.
(صارخا) يعيش... (يأخذه السعال).

الملازم: (ينفعل ويتحمس وبصوت عال) عهد الفخار!

العميد: يبدو أن الكلام أعجبك كثيرا! (يبتسم).

الملازم: نعم يا سيدي (يضحك. يعبس العميد فجأة، ويتنبّه الملازم فيعدِّل وضعه خائفا).

العميد: الآن... الآن اكتب... اكتب!

الملازم: تفضَّل مُرْني.

العميد: اكتب!... (ينهار وضعه) اكتب... لقد خلا ذهني كليا على نحو يدعو إلى العجب... ماذا أقول؟ (يحاول تركيز انتباهه) ماذا كتبت حتى الآن؟ أعطني لأعيد قراءته مرة، لأرى ماذا كتبت،

ولأرى ماذا يمكن قوله كذلك... ذلك أن الكلمات الطيبة تأتي من الكلمات الطيبة.

الملازم: اسمح لي أن أقرأ أنا عليك.

العميد: لا لزوم لأن تقرأ أنت، يجب أن أقرأ أنا... لا يجوز لهذه الكلمات أن تخرج من فم إنسان مثلك... أعطني إياه.

الملازم: (يتردد ويتقدم خطوة ويتأخر خطوة محاولا ألا يعطي العميد الدفترَ) سيدي!

العميد: قلت أعطني إياه (ينهض نصف نهوض) أسمعتَ ما قلتُ؟

الملازم: سيدي.

العميد: (غاضبا) لسعتك حية... قلت أعطني إياه.

الملازم: ولكن...

العميد: هذا أمر عسكري... أفهمت؟ (مضطرب الحال جدا).

الملازم: (بارتباك) تعلم... تعلم... (يدنو بخوف) تقصيري... لم يكن التقصير مني (يقدم الدفتر إلى العميد).

العميد: (يأخذ الدفتر وينظر فيه مبهوتا عدة لحظات) أين؟ أين ما كتبت؟ (صارخا) فأين ما دوَّنت؟ (يقلب أوراق الدفتر بسرعة).

الملازم: صدقني يا سيدي... ليس التقصير مني.

العميد: لماذا لم تكتب؟... ها؟... لماذا لم تكتب؟

الملازم: لم يكن تقصيري... هذا... هذا لم يكتب... هذا لم يكتب ويريه القلم.

العميد: (غاضبا) لم يستطع أحد أن يسخر مني حتى الآن... فتأتي أنت لتسخر مني؟ (صارخا وهو يحاول النهوض) يا هو... يا هو... هيا، الآن أرسلك إلى السجن... اذهب إلى السجن... يا هو... يا هو... السجن... إعدام... إعدام.

(يتوقف عن الحركة، وعيناه جاحظتان تحدقان... الملازم في غاية من الاضطراب، وهو منتصب أمام نظرة العميد الغاضبة... يظل العميد بلا حركة. كلاهما يجمد في مكانه بلا حركة... والصمت يسود عدة لحظات. يسعل الملازم فلا يصدر عن العميد أي ردة فعل... يتقدم الملازم عدة خطوات، رأس المريض منحنٍ... يتوقف قرب كتفه... ينحني الملازم ويتفحص عيني العميد، ثم يأخذ قدميه ويمددهما... ويمدِّد العميد على السرير... يغطي جسده ووجهه تماما... يرن جرس الهاتف... يرفع الملازم السماعة)

الملازم: نعم... السلام عليكم... كلا... وضعُه غير مُرضٍ... كلا سيدي... نائم... لا... لا يمكن إيقاظه... كلا سيدي... لا يساعد وضعه على سماع التقرير... كلا... لم يعد ممكنا إيقاظه.

- يسدل الستار -

المؤلف في سطور

جوهر مراد

- ولد في مدينة تبريز الإيرانية عام ١٩٣٩، واسمه الحقيقي غلام محسين ساعدي.
- عمل طبيبا نفسانيا، على رغم ما يملك من اهتمامات أدبية وفنية متنوعة.
- كتب في أكثر من نوع أدبي، ومن أعماله: «الخوف والرعشة»، «العين بالعين»، «الطفل»، «دنديل»، وترجمت أعماله إلى العربية والفرنسية والإنجليزية، وكذلك كتب سيناريو فيلم «البقرة».
- شغل منذ بداية الثمانينيات منصب رئيس تحرير مجلة «ألفباء» الصادرة في باريس، وهناك توفي في عام ١٩٨٤.

المترجم في سطور

د. محمد التونجي

- من مواليد الجمهورية العربية السورية عام ١٩٣٣.
- حصل على دكتوراه في الأدب الفارسي والأدب العباسي.
- عمل أستاذا في جامعة حلب، كما عمل أستاذا للغة العربية في جامعة الكويت.
- ترجم مسرحيات عدة فارسية، نشر بعضها في سلسلة «من المسرح العالمي» منها: «في سبيل الحرية» و«صحيفة الشيخ شرزين».

المراجع في سطور

د. فكتور الكك

- يشغل منصب رئيس مركز اللغة الفارسية وأستاذ الحضارة العربية- الإسلامية والأدب العربي المقارن بالجامعة اللبنانية.
- له العديد من المؤلفات والبحوث في الأدب والفلسفة والتاريخ وعلم السياسة والأديان، بالعربية والفرنسية والفارسية والإنجليزية.
- ترجم إلى العربية مجموعة من روائع الفارسية والفرنسية والإنجليزية، كما نقل إلى الفرنسية والفارسية روائع منها.
- عمل صحافيا لسنوات طويلة، ورأس تحرير عدد من المجلات السياسية والثقافية في لبنان وإيران وكندا، وهو حاليا رئيس تحرير «الدراسات الأدبية العربية - الإيرانية» بالجامعة اللبنانية و«فصلية إيران والعرب».

إبداعات عالمية

338

مسرحية «منزل النور»

مسرحية «منزل النور» هي إحدى المسرحيات التي يضمها هذا العدد من سلسلة «إبداعات عالمية»، الذي يعرض في الوقت نفسه لأربع مسرحيات أخرى للكاتب جوهر مراد، وهو واحد من أعلام الكتابة المسرحية في إيران، وقد اخترنا أن نعرض له في هذا العدد هذه المسرحيات الخمس، التي تعرض لأنماط مختلفة من الحياة، وتستمد أحداثها من شرائح متعددة من المجتمع الإيراني. المسرحية الأولى «دعوة» بنيت على عقدة نفسية، استطاع المؤلف من خلالها تصوير حالة الإهمال التي تحياها بعض الفتيات، من مثل توزع لوازمهن من دون نظام وإمكان استعارة ألبسة صديقاتهن. المسرحية الثانية «يد على يد» مؤلفة من ثلاثة مشاهد ويؤديها خمسة ممثلين، يريد مؤلفها أن يقول: «إن الأخ إن لم يكن صديقا فالغريب أولى منه». أما «طوبى للحلماء» فهي مسرحية فكاهية من مشهدين، وقوامها عجوزان لا يقويان على العمل، كسلا، مما يجعلهما يستدعيان خادمة للقيام على شؤونهما، ونظرا لحاجتهما إليها يقومان بتدليلها، ما أغرى الخادمة باستغلالهما وسرقة ما يمتلكان من ثياب ومتاع؛ لتتركهما شبه عاريين. وتأتي المسرحية الرابعة «رسالة المرأة العالمة» لتشعرنا بذكاء وفطنة الفتاة المتعلمة، وحسن تصرفها الذي ساعدها على التخلص من أطماع الجشعين المتسلطين على رقاب الناس. وأخيرا في «منزل النور» نجد دراما دامعة تستدعي دفعا معنويا ينفخ في الأبدان بعض النشاط، ويحط عنها تلال اليأس.

وقد اختار المؤلف هذه الأخيرة لتكون عنوانا لمجموعته تلك، التي برع من خلالها في تصوير وإبراز ما سعى إليه، وكان نصيبها أن عرضت على خشبة المسرح وطبعت أكثر من مرة.

ردمك ٢ - ٠٩٠ - ٠ - ٩٩٩٠٦

ISBN 99906- 0 - 090 - 2